جامعة وادي النيل

وحدة البحث العلمي والنشر

مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية

ISSN: 1858 – 7054

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

المجلد الأول، العدد الأول، 2020م

www.nilevalley.edu.sd

جامعة وادي النيل

وحدة البحث العلمي والنشر

مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

(ISSN: 1858 – 7054)

المجلد الأول، العدد الأول، 2020م

nile.sinc.magzaine@gmail.com

www.nilevalley.edu.sd

افتتاحية العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، يسرنا أن نضع بين يدي القارئ الكريم العدد الأول من مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية، إحدى إصدارات جامعة وادى النيل، وهى مجله علميّة محكمة، ربع سنوية تُعنى بمجال الآداب والعلوم الانسانية، وتسعى لإثراء حركة النشر العلمي الذي يعد أحد أهم أهداف الجامعة الرئيسة.

وستكون المجلة بإذن الله أحد أهم أوعية المعلومات التي تسعى إلى إنتاج المعرفة وتقديمها وفق أصول البحث العلمي الذي يتسم بالأصالة العلمية والإسهام الفاعل في حقل المعرفة الإنسانية. كما تسعى المجلة في إطار التحديث والتجديد الذي تشهده جامعة وادى النيل للعام 2020م لرسم ملامحها وتحديد إطارها المعرفي ووجهتها المستقبلية الجديدة من خلال تطوير آلياتها لتحقيق أهدافها وتوظيف التقنية الحديثة في جميع معاملاتها خدمة للبحث العلمي.

ويجدر بنا أن نشير إلي أن هذا العدد يشتمل علي سبع أوراق علمية في تخصصات عدة نأمل أن يجد فيه القارئ الكريم الفائدة المرجوة كما نرحب بمشاركات قراء المجلة سواءً من الباحثين المهتمين بنشر نتاجهم العلمي أو الراغبين في الاستفادة من أبحاث المجلة وإصداراتها الخاصة، ونبشر القراء الكرام بنشر هذا العدد الكترونياً على موقع الجامعة ليكون متاحاً على أوسع نطاق إسهاماً لنشر المعرفة للبشرية كافة، كما سيجد المهتمون شرحاً مفصلاً عن خطوات التقديم للنشر، وعن المشاركة في التحكيم كما يوفر معلومات مهمة عن قواعد النشر وبيانات أعضاء هيئة التحرير ووسائل التواصل مع المجلة.

وحريٌّ بنا في هذه الافتتاحية أن نشكر كل من ساهم في إخراج هذا العدد في هذا الثوب القشيب إعداداً وتصميماً وإخراجاً كما نزجي عاطر الثناء وعظيم الامتنان لإدارة الجامعة على دعمها الكبير في سبيل النهوض بمجال البحث العلمي ونشره.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(صدق الله العظيم)

رئيس التحرير

مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية

مجلة علمية دورية محكّمة تصدر عن جامعة وادي النيل

رئيس مجلس الإدارة: أ.د. الهام شريف داؤود- مدير جامعة وادي النيل

المشرف العام: د. أحمدالجيلى إبراهيم- مديروحدة البحث العلمي والنشر

هيئة التحرير:

1– د. إيمان محمود إبراهيم عبده	**رئيس التحرير**
2– د. بابكر صالح محمد المدني	**مدير التحرير**
3– د. معاوية عبد الرحمن محمد الطاهر	**سكرتير التحرير**
4–أ.د. محمد بكري محمد الحسن	**عضواً**
5– د. محمد يحي أحمد الحاج	**عضواً**
6– د. الامين الطيب الطاهر	**عضواً**
7– د. صلاح سليمان علي محمد	**عضواً**

المستشارون:

1. **أ.د. خليفة بابكر الحسن**
2. **أ.د. علي محمد شمو**
3. **أ.د. الحبر يوسف نور الدائم**
4. **أ.د. عبد الباقي عبد الغني**
5. **أ.د. جلال الدين بانقا أحمد**
6. **أ.د. عبد الماجد عبد الله الحسن**

التصحيح اللغوي:

- ✓ **أ.د. هاشم البشير محمد– اللغة العربية**
- ✓ **أ.د. محمد بكري محمد الحسن– اللغة الانجليزية**

عن المجلة

مجلة النيل للآداب والعلوم الإنسانية مجلة علمية دورية محكمة ربع سنوية تصدر عن وحدة البحث العلمي والنشر بجامعة وادي النيل وتهدف إلى إتاحة الفرصة للباحثين لنشر إنتاجهم العلمي من الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات الآداب والعلوم الانسانية. تنشر المجلة الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية بعد تحكيمها وإقرارها من محكمين بالإضافة إلى هيئة التحرير.

اهتمامات المجلة وأبعادها

تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في المجالات التالية:
اللغة العربية وآدابها، اللغة الإنجليزية وآدابها، علم الاجتماع، الفلسفة، علم النفس، التاريخ، الجغرافيا، علم المكتبات والتوثيق، علوم الاتصال، علم الآثار، الشريعة والقانون، العلوم الاسلامية، المحاسبة، الاقتصاد والعلوم السياسية، العلوم الإدارية، الإحصاء التطبيقي، الدراسات السكانية، التجارة، نظم المعلومات الإدارية، المسرح والفنون.

الشروط العامة للنشر

تقبل المجلة الأوراق العلمية التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتلتزم بقواعد النشر التالية:

1- ألّا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر في دورية أخري داخل أو خارج السودان.
2- يجب أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة وخالياً من الأخطاء الإملائية والنحوية.
3- تقبل البحوث مكتوبة باللغة العربية او الانجليزية على ورق A4 بخط Times New Roman وحجم الخط 14 في المتن. تترك مسافة 1.5 بين السطور وهوامش للصفحات بمقدار 2.5 سم في كل الاتجاهات. على ألا تزيد صفحات البحث عن 25 صفحة.
4- لهيئة التحرير حق الفحص الأوّلي للبحث ومدى الالتزام بشروط النشر وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
5- بعد إجازة البحث من هيئة التحرير بشكل مبدئي يتم إرسال البحث للتقييم من قبل إثنين من المحكمين (أحدهما من خارج الجامعة) ولا يتم نشر البحث الّا بعد موافقة المحكمين وإجراء التعديلات التي قد يوصون بها.
6- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، وذلك دون أدني مسؤولية على المجلة.
7- يجب أن تكون حقوق النشر كاملة للمجلة سواء بالإصدار الورقي أو الإلكتروني، ويعتبر تقديم البحث أو الورقة العلمية للنشر في المجلة بمثابة موافقة الباحث على جميع شروط النشر.

الموجهات العامة والترتيب الموضوعي لهيكل البحث

يجب أن يكون البحث مرقماً أسفل الصفحات (في الوسط) ومرتباً كما يلي:

عنوان الدراسة: يكون محدداً ومعبراً عن محتوى الدراسة ويكتب بخط 16 (نمط الخط غامق) ولا يزيد العنوان عن (15) كلمة وباللغتين العربية والإنجليزية يعكس مضمون ومحتوى الورقة العلمية بأسلوب مباشر.

أسم مؤلف الورقة: يكتب أسم/أسماء مؤلفي الورقة تحت العنوان مباشرة بخط 12 ثم تلي ذلك عناوين المؤلفين ثم رقم الهاتف المحمول والبريد الإلكتروني للباحث المسئول عن المتابعة (ممثل الباحثين).

المستخلص

يُعِد الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (250) كلمة. كما يجب أن يكون المستخلص دالاً ومعبراً عن أهداف الدراسة والوسائل المستخدمة ومشتملاً على أهم النتائج والتوصيات.
يلي كل من الملخصين: العربي، والإنجليزي، كلمات مفتاحية (Keywords) لا تزيد على خمس كلمات، تعبر عن مجالات البحث.

الإطار التمهيدي للدراسة: ويشمل:

- **المقدمة**: يقوم الباحث بعرض مختصر لموضوع الورقة العلمية ومزود بخلفية عن الموضوع وعن اسباب ودوافع الكتابة فيه.
- **أهميتها العلمية والعملية**: ذلك بعرض الأهمية العلمية والعملية للدراسة.
- **أهداف الدراسة:** وتشرح بوضوح فى نقاط الهدف الذي من أجله أجريت الدراسة.
- **مشكلة الدراسة:** والتي من خلالها يتطرق الباحث للأسئلة التي سيقوم بالإجابة عنها من خلال بحثه.
- **منهجية الدراسة:** وتشرح المنهج الذي بنيت عليه الدراسة مع توضيح المفاهيم الرئيسية وأنسابها وآليات البحث والوصف والتحليل ومصادر المعلومات والبيانات وفترتها الزمنية مع التعريف الدقيق لكل المتغيرات والأدوات.
- **فرضيات الدراسة**: وذلك بكتابة الفرضيات التي بنيت عليها الدراسة.
- **المصطلحات المستخدمة في الدراسة**: وتكتب في حالة استخدام مصطلحات علمية مبهمة بالنسبة لبعض القراء. ويمكن أن تشمل كذلك الكلمات المفتاحية والتي تتراوح بين ثلاث إلى خمس كلمات.
- **الدراسات السابقة**: تهدف هذه الفقرة إلى الإسترشاد بعدد وافي من الأوراق العلمية من نفس الموضوع منشورة في مجلات علمية محكمة، ويتم ترتيب الدراسات السابقة ذات الصلة حسب حداثتها ويقتطف منها الهدف والمنهج ووسائل التحليل وأهم النتائج والتوصيات مع ذكر الاسم الخير للباحث والسنة التي نشر فيها البحث (الباحثين)، وتبدأ الفقرة بجملة فعلية مثل درس عبد الله (2013) الآثار الاجتماعية لمشروع ....).

الإطار النظري للدراسة

يتم شرح لموضوع الدراسة ويشمل قواعد وأصول الدراسة.

الدراسة التطبيقية

في حالة إجراء استبانة أو جمع بيانات ثانوية يتم تحليل هذه البيانات ويفتتح هذا الجزء بعبارة واضحة تدعم أو ترفض الافتراضات الأساسية. تتم مناقشة النتائج مناقشة علمية مبنية على الإطار النظري والدراسات السابقة، بحيث تعكس تفاعل الباحث مع موضوع الدراسة.

الخاتمة: تقدم ملخصاً مختصراً للموضوع مشكلته وأهدافه وما توصل اليه من نتائج وتوصيات تكون على النحو الآتي:

النتائج: يلخص الباحث في هذا الجزء من الدراسة البيانات المجمعة ونتائج التحليل العامة مع ذكر كل النتائج ذات الصلة حتى غير المتوقعة والتأكد من صحتها.
يستخدم نظام الوحدات المتري في البحث.

مناقشة النتائج

بعد عرض النتائج يجب علي الباحث تقويمها وتفسير أثارها خاصة بالنسبة إلي الافتراضات الأصلية، هنا يكون فحص النتائج واستخلاص العبر منها والتأكيد على الجوانب النظرية أو التطبيقية بحيث يتم ربطها بطريقة معروفة ومدروسة ويتم الشرح بطريقة منطقية تقبل أو تدحض الفرضية.

التوصيات: من خلال ما تم التوصل إليه من نتائج تقدم توصيات بطريقة علمية مستندة إلى تلك النتائج ويمكن أن تقدم الاقتراحات اللازمة التى تفيد الباحث المستقبلى.

الجداول والاشكال التوضيحية: يجب أن تكون الجداول والأشكال التوضيحية قابلة للتعديل والضبط. توضع الجداول والأشكال التوضيحية في المتن حسب ورودها او توضع في نهاية البحث (قبل قائمة المراجع). يجب أن يكون الجدول واضحاً ومستقلاً بذاته بحيث يفهمه القارئ دون الرجوع الى المتن، ويكون له رقم وعنوان أعلى الصفحة. يوضع رقم وعنوان الشكل التوضيحى أسفله. يجب عدم عرض النتائج نفسها على هيئة جداول وأشكال توضيحية معا، كما يجب الإشارة الى أماكن الاشكال التوضيحية والجداول والصور فى متن البحث ويجب ألا تزيد مساحة الجداول أو الرسومات أو الصور عن 12.5 سم × 18سم.

قائمة المصادر والمراجع: توضع قائمة للمراجع في نهاية البحث تشمل كل المراجع والمصادر التى ورد ذكرها في المتن.

طريقة توثيق المراجع

تعتمد المجلة في توثيق المصادر والمراجع على نظام هارفارد، ولا يقبل نظام ترقيم المراجع ولا يشار لحواشى أو مراجع أسفل الصفحات.

توثيق المراجع في المتن

يشار للمراجع في المتن في حالة النقل المباشر بطريقة: ذكر الاسم الأخير للمؤلف وسنة النشر ورقم الصفحة فقط.
مثال: (حامد، 1996، ص 145). او بدون ذكر رقم الصفحة في حالة الصياغة بعبارة الباحث.
في حالة وجود مؤلفين اثنين: يكتب الاسم الأخير للأول والاسم الأخير للثاني (سنة النشر).
مثال: (محمد والطيب، 2005، ص19).
فى حالة أكثر من مؤلفين: يكتب الاسم الأخير للمؤلف الأول واخرون (سنة النشر).
مثال: (عبد الله واخرون، 1988، ص 45).

قائمة المراجع والمصادر

تكون قائمة المراجع والمصادر مرتبة هجائياً في نهاية البحث حسب الاسم الأخير للمؤلف وبخط 12على النحو التالي:

كتاب

الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الاول ثم الثاني (سنة النشر). عنوان البحث. (رقم الطبعة غير الاولى). اسم مؤسسة النشر، مكان النشر.
مثال: الزوكة، محمد خميس (2000). جغرافيا السكان. ط2، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر.

بحث كجزء من كتاب (فصل من كتاب)

الاسم الاخير للمؤلف، اسمه الاول ثم الثاني (سنة النشر). عنوان الفصل. من كتاب: "اسم الكتاب"، اسم المحرر (رقم الطبعة غير الاولى). مؤسسة النشر، مكان النشر، حجم صفحات البحث (الاشارة إلى بداية صفحته ونهايتها).

ورقة بحثية في مجلة

الاسم الاخير للمؤلف، اسمه الاول ثم الثاني (سنة النشر). عنوان البحث. اسم المجلة، مكان النشر، رقم المجلد، رقم العدد، حجم صفحات البحث (الاشارة إلى بداية صفحته ونهايتها).
الشوابكة، يونس احمد (2012). اتجاهات طلبة العلوم التربوية نحو ثقافة المعلومات. المجلة الاردنية في العلوم والتربية، الاردن، 8 (4)، ص 315-328

في حالة أكثر من مؤلف

الاسم الأخير للمؤلف الاول، اسمه الاول ثم الثاني؛ الاسم الأخير للمؤلف الثاني، ... الخ (سنة النشر). عنوان البحث. اسم المجلة، اسم مؤسسة النشر، مكان النشر، حجم صفحات البحث (الاشارة إلى بداية صفحته ونهايتها).

بحث في أعمال مؤتمر أو ملتقى علمي

الاسم الأخير للمؤلف، اسمه الاول ثم الثاني (سنة النشر). عنوان البحث. ورقة مقدمة فى مؤتمر: اسم المؤتمر، المؤسسة المنظمة، تاريخ ومكان الانعقاد. الصفحات.

رسالة ماجستير أو دكتوراه

الاسم الأخير للمؤلف، اسمه الاول ثم الثاني (السنة). عنوان الرسالة. رسالة ماجستير (او دكتوراه)، الجامعة، الدولة، الصفحات.
النتائج غير المنشورة والاتصالات الشخصية لا تضمن فى المراجع بل تذكر فقط فى متن البحث.
في حالة استخدام بحوث مأخوذة من الانترنت يكتب المصدر كاملا مضافا اليه المعلومات من الموقع.
يلي قائمة المراجع العربية، قائمة بالمراجع الإنجليزية، وفق ترتيبها الهجائي (باللغة الإنجليزية) حسب الاسم الأخير للمؤلف الأول، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد فـي المجلة.

تسلم الاوراق المقدمة للنشر

يتم تسليم نسخة ورقية وأخرى الكترونية على القرص المدمج CD من البحث المقدم للنشر لرئيس هيئة التحرير او ترسل الكترونياً على **ايميل المجلة: najah@nilevalley.edu.sd**

فهرس الموضوعات

عن المجلة ب

الشروط العامة للنشر ب

واقع الترويج السياحي في وسائل الاتصال السودانية (دراسة على عينة من الجمهور النوعي بولاية الخرطوم) 15 - 1

مرتضى البشير عثمان الأمين

التعددية الثقافية - رؤية تأصيلية 30 - 16

عبد الكريم عثمان علي

العامل عند النحويين أنواعه والمآخذ عليه- دراسة وصفية تحليلية 47 - 31

عماد الدين محمد أحمد شوشه

القياس وتطبيق قواعده على السوابق القضائية 62 - 48

الريح رحمه حمد

كفاءة أساليب إدارة النفايات الصلبة المنزلية (تجربة مدينة عطبرة - السودان) 79 - 63

محمد يحيى أحمد الحاج

The Effects of Cultural and Poetic Language on Appreciating Poetry 89 - 80

Ishag Jaffer Elbadawi

Using Statistical Methods to Detect Variables Leading to Cancer (A case Study of River Nile State) 103 - 90

Iman Mahmoud Ibrahim Abdo

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

واقع الترويج السياحي في وسائل الاتصال السودانية (دراسة على عينة من الجمهور النوعي بولاية الخرطوم)

مرتضى البشير عثمان الأمين

قسم دراسات الاتصال- كلية العلوم الاسلامية والعربية- جامعة وادي النيل.

المؤلف:murtadaosman772@gmail.com

مستخلص:

تعتبر هذه الدراسة من ضمن البحوث الوصفية التي تهدف إلي معرفة إلي أي مدىً تهتم وسائل الاتصال بالترويج عن السياحة في السودان، ولتحقيق ذلك تسعي الدراسة الي الإجابة عن مجموعة تساؤلات منها ما مدى الاهتمام والوعي بالنشاط السياحي كقيمة اقتصادية واجتماعية؟ وما مدى كفاءة الجهود الاتصالية لإحداث ترويج حقيقي لما هو كائن؟ وهل يتفق الأداء الاتصالي لوسائل الاتصال مع أهمية السياحة في السودان؟ اعتمدت الدراسة على المنهج المسحي، ويتكون مجتمع البحث من ثلاث مجموعات تمثل كل القطاعات التي لها صلة بالنشاط السياحي في ولاية الخرطوم تم تحديدها بواسطة العينة الطبقية، وبطريقة العينة العمدية تم اختيار العينة من المؤسسات لتمثل المجموعات، وتم استخدام الاستبانة كأداة أساسية لجمع المعلومات. وأبانت الدراسة أن وسائل الاتصال عامل مؤثر في تنشيط الحركة السياحية إلا أن ضعف الإمكانات الفنية والمهنية لدى القائمين على أمر الترويج السياحي في هذه الوسائل حال دون فعاليتها في الترويج السياحي. لذلك توصي الدراسة بترسيخ مفهوم الترويج السياحي لدى العاملين في وسائل الاتصال السودانية ورفع قدراتهم ومهاراتهم في هذا المجال، والاهتمام بزيادة الوعي السياحي لدى كافة قطاعات المجتمع، وتغطية الفعاليات السياحية بالمركز والولايات.

كلمات مفتاحية: الترويج السياحي، المنهج المسحي، السياحة في السودان.

The Reality of Tourism Promotion in the Sudanese Media
(A study on the Qualitative Public in Khartoum State)

Murtada EL-bashir Osman

Dept. of Communication Studies, Faculty of Islamic and Arabic Sciences, Nile Valley University, Sudan

Abstract:

This descriptive study aimed at identifying the concerns of the Sudanese media for promotion of tourism in the country. To attain that, the study seeks to answer a set of questions such as: How far is the awareness and the concern given to the touristic activity as economic and social value? How efficient are the media and communications efforts to promote what existed? How the media performance corresponds with the importance of tourism in Sudan? The study adopted the survey method. Its population represents the three groups in tourism sector in Khartoum State. The sample includes: class sample and selected sample from the institutions. Data is collected by a questionnaire. The study demonstrates that the efficiency of media in promotion of tourism is impeded and weakened by the technical and professional shortcomings of the employees in the field. The study recommends capitalizing the concept of touristic promotion among the employees of the Sudanese media, raising their skills and capabilities besides activation of federal and state touristic awareness.

Keywords: Tourism promotion, survey method, tourism in Sudan

مقدمة:

أثبتت الدراسات أن الصورة الذهنية المكونة لدى الأفراد والجماعات عن واقع معين تتأثر إلى حد كبير بما يسمعه ويشاهده هؤلاء في وسائل الاتصال، لذا فهي تساهم في تكوين الصورة الذهنية عن العالم لدى المتلقي. ولذلك تسعى هذه الورقة إلى معرفة واقع الترويج السياحي في وسائل الاتصال السودانية.

وتنظر الدراسة إلى أهمية السياحة في السودان لمقدرتها على معالجة المشكلات الاقتصادية من خلال العائدات من النقد الأجنبي وكذلك تحريك أنشطة أخرى ترتبط بالسياحة مما يعني فتح منافذ جديدة للعمل، لذلك لابد من التعرف علي آليات تفعيل وسائل الاتصال في الترويج للسياحة في السودان وكيفية توجيهها لإدراكات واتجاهات أفراد المجتمع (المحلي والعالمي) عن الواقع السياحي في السودان حيث تشير الأبحاث والدراسات إلي أن السودان عاصر البدايات الأولى للحضارات الإنسانية، فقد وجدت دلائل إعمار الأرض خلال فترات امتدت منذ العصر الحجري من 8000 سنه ق.م إلي 6000 سنه ق.م ثم في عصر حضارة كرمه سنه2600 ق.م ومملكة نبته سنة760 ق.م ومملكة مروي 350 سنه ق.م.

إضافة إلى هذه المقومات الأثرية والتاريخية يمتاز السودان بالتنوع المناخي والمناظر الطبيعية من سهول وتلال وجبال وغابات وحيوانات برية وبحرية، أي أنّ السودان لديه مقومات وجواذب سياحية تجعله يفوق الكثير من البلدان التي استفادت استفادة قصوى من عائد السياحة في زيادة الدخل القومي وجاء ذلك نتيجة لاهتمام تلك الدول بالسياحة وكذلك فاعلية وسائل الاتصال فيها وإبرازها للصورة السياحية بطريقة جاذبة وأكثر تشويقاً.

المحور الأول: الإطار المنهجي للدراسة

أهداف الدراسة:

من خلال النظر الي السياحة على أنها صناعة مهمة في عصرنا الحالي، تؤثر بصورة فعالة على الاقتصاد القومي، ولم تعد السياحة كما كانت في الماضي مجرد سفر للمتعة والترفيه او لرؤية بعض الآثار القديمة بل تعددت وتنوعت أشكالها وحتى يمكن ان يكون الجانب السياحي فعالاً وجاذباً تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

1. التعامل السليم مع الموارد السياحية السودانية والترويج لها عبر وسائل الاتصال المختلفة.
2. معرفة الدور التنسيقي والتكاملي فيما بين الاجهزة العاملة في مجال السياحة ووسائل الاتصال الجماهيري.
3. معرفة مدى كفاءة وسائل الاتصال في الترويج للسياحة السودانية.
4. بناء صورة ذهنية طيبة لدى السائح (المحلي والخارجي) عن البيئة السياحية بالسودان.

مشكلة الدراسة:

ظل السودان ولآلاف السنين منطقة تواصل بين شعوب افريقيا الوسطى وبين شعوب عالم البحر المتوسط وملتقى لكافة الحضارات (أندرسون، 2004، ص10)، حيث يمتلك مقومات جذب سياحي طبيعية وصناعية تحتاج إلي جهود إعلامية تساعد في الترويج عن السياحة وتحفيز الطلب لزيادة عدد السياح مستخدمة في ذلك كافة وسائل الاتصال لنشر معلومات موضوعية في مختلف الأسواق السياحية لتحسين صورة الدولة السياحية واستعراض وسائل واجراءات الأمن والأمان الموجودة بالمناطق السياحية حيث الطمأنينة والامان في نفوس السائحين في ظل بروز مصطلح الارهاب (Terrorism) في المجتمع الدولي (حامد والشحات، 2005، ص21). وبالرغم من الآفاق الرحبة التي وصلت اليها السياحة العالمية بنوعيها الدولية والداخلية، فلا تزال الكثير من الدول لا تعرف قيمتها الحقيقية في الاقتصاد القومي حيث حلت صناعة الخدمات في

الأهمية محل الصناعات بالمعنى التقليدي، فالسياحة لا تزال خارج إطار الاستراتيجيات القومية للتنمية في كثير من الدول النامية (مسعد، 2001، ص97).

وهذا ما نلاحظه إذا وقفنا أمام حركة السياحة في السودان إذ إن عدد السياح في عام 1959 م كان 500 قفز الي 30425 سائح في العام 1991 م حتى وصل 60577 في العام 2004 م حيث وصلت العائدات السياحية حوالي 68.3 مليون دولار. ومن خلال قراءة هذه الارقام نجد أن هناك حركة في النشاط السياحي بالسودان ولكن عند مقارنته بالسياحة العالمية نلاحظ أنَّها حركة ضعيفة ولا تتناسب مع الموارد السياحية الكبيرة بالسودان. مما يعني ضعف النشاط السياحي في استراتيجية الدولة وخاصة في المجال الإعلامي الذي بفاعليته يمكن بناء صورة ذهنية عن الفوائد السياحية بالسودان لتتناسب وحركة السياحة العالمية.

تأتى مشكلة هذا البحث منطلقة مما أحسه الباحث وأشارت إليه الكثير من الدراسات الأكاديمية أن وسائل الاتصال في السودان برغم دورها الكبير في بعض مجالات التنمية إلا أنها لا تعطى اهتماما كبيرا بالسياحة. وهذا ما يبين قصور الأنشطة الإعلامية عن نشر الثقافة السياحية بين الفاعلين الرئيسيين في المجال السياحي. ومن خلال ذلك تبلورت لدى الباحث مجموعة أسئلة وهى كما يلي:

1. ما مدى الاهتمام بالنشاط السياحي في وسائل الاتصال السودانية؟
2. هل هناك دور تنسيقي بين وزارة السياحة ووسائل الاتصال وما مداه؟
3. ما مدى كفاءة الجهود الاتصالية لإحداث ترويج حقيقي لما هو كائن؟
4. هل يتَفق الأداء الإتصالي لوسائل الاتصال مع أهمية السياحة في السودان؟
5. ما مدى إمكانية أن تلعب وسائل الاتصال دوراً فعالاً في التريج السياحي؟

نوع الدراسة:

هذا البحث من البحوث الوصفية التي يمكن عن طريقه وصف وتحليل المتغيرات والعلاقة بينها وتأثيرها على موضوع الدراسة.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث علي المنهج المسحي، الذي عن طريقه يمكن الحصول على بيانات ومعلومات من جمهور متنوع الخصائص والصفات وأوصاف عن الظاهرة مكان الدراسة من العدد الحدي للمفردات المكونة لمجتمع البحث (حسين، 1999، ص123).

المجال المكاني للبحث:

ولاية الخرطوم حيث يتركز فيها مجتمع الدراسة.

أدوات جمع المعلومات:

استخدم الباحث أداة الاستبانة Questionnaire والتي تتكون من مجموعة أسئلة تصل إلى الأشخاص الذين تم اختيارهم في العينة ليقوموا بتسجيل إجاباتهم وإعادتها ثانية (حسين، 1999، ص153).

المصطلحات البحثية:

- السياحة (Tourism): هي مجموعة من الظواهر والعلاقات الناجمة عن السفر والبقاء بعيداً عن الوطن الاصلي بقاء غير دائم وغير مرتبط باي نشاط للكسب(عبد الحكيم والديب، 2001، ص5-6).

- وسائل الاتصال (Media of communication): وهي التي تنتقل من خلالها المعلومات والبيانات في شكل رسائل أو صور سياحية من المصدر الي المستقبل بقصد إحداث أثر إيجابي على المتلقي.
- الترويج السياحي (promoting tourism): نعنى به نشر أو عرض أو إذاعة مجموعه من الأخبار والمعلومات لإحداث المعرفة لدى السائح عن السياحة في السودان وبرامجها وإحداث تفاعل ايجابي بين السائح وبين المعلومات التي حصل عليها عن الجواذب والمناطق السياحية في السودان.
- الصورة الذهنية (Image): تشير الصورة الذهنية الي التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو هي إحياء أو محاكاة لتجربة حسية كما أنها قد تكون تجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة (عجوة، 1983، ص 4) (ونقصد بها هنا المفهوم العقلي أو العاطفي الذي يكونه السائح عن السياحة في السودان).

الدراسات السابقة:

يلجأ الباحثون الي الدراسات السابقة في بداية مشروع البحث وعند اختيار موضوع بعينه وتستمر عملية مراجعة الدراسات السابقة مع استمرار البحث، فالمعرفة لا توجد من فراغ حيث تكون البداية مما انتهى اليه الآخرون، ويتم تقييم أي عمل بحثي أو دراسة في إطار علاقتها مع الأبحاث والدراسات التي يقوم بها الآخرون وتتضح قيمة العمل عند مقارنته مع الأعمال الأخرى (طايع،2001، ص338). وتعد الدراسات السابقة بمثابة اللبنات الأساسية حيث تمكَن الباحث من عدم تكرار البيانات والمعلومات.

الدراسة الأولى: (عثمان، 2002)

هدفت الدراسة لتوضيح أداء القطاع السياحي في السودان ومعرفة الإحصاءات والإيرادات السياحية. واستخدمت الباحثة لدراستها المنهج الوصفي التحليلي. ومن نتائجها المهمة أن السودان ينفرد بمقومات سياحية مختلفة ومتباينة يمكن أن تحقق إيرادات تشجع على الاستثمار في النشاط الاقتصادي.

توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات منها: على السودان أن يسعى في الاهتمام بالعمل السياحي وتوزيع الخارطة الاستثمارية للوكالات للترويج وتنمية المناطق السياحية وإنشاء مصارف متخصصة للدعم لزيادة عدد السياح. أشارت الكثير من الدراسات والبحوث إلى أهمية السياحة في دعم الاقتصاد، كما أشارت إلى القصور الواضح للنشاط السياحي في السودان على الرغم من امتلاكه لمقومات سياحية وافرة مما حفز الباحث لدراسة الترويج السياحي في وسائل الاتصال وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي علقت بالنشاط السياحي، فتمت الاستفادة من الدراسات السابقة في وضع اللبنات الأولي للدراسة.

الدراسة الثانية: (الهمالى، 2006)

الأهمية: اجريت الدراسة على المجتمع الليبي الذي يشهد عملية تغيير من خلال مؤسساته الصحفية في قطاع السياحة. تظهر أهمية البحث من خلال محاولة رصده لأهم الصعوبات والعقبات التي تواجه الصحافة في التنشيط السياحي. استخدم الباحث منهج المسح معللاً ذلك بالنقص الحاد في البيانات والمعلومات عن موضوع البحث وأيضاً ملائمته لنوعية هذه البحوث وتكلفة المسوح المنخفضة وكذلك يتيح المنهج جمع معلومات كثيرة من جمهور متنوع الخصائص والصفات.

النتائج: أظهرت الدراسة أن السياحة الداخلية هي الركيزة الأساسية للسياحة الدولية وبالرغم من أن السياحة لها مزايا اجتماعية وثقافية وتعليمية واقتصادية إلا أن الاهتمام بها ضعيف من جانب القائمين على العمل السياحي الرسمي وغير الرسمي والاعلامي، مما يعني عدم الاهتمام بتنشيط السياحة الداخلية وأيضاً من معوقات السياحة الداخلية عدم تعاون الاجهزة مع الصحافة، كما أن انخفاض وارتفاع الموارد المالية للأفراد والنفقات حد كثيرا من حركة السياحة الداخلية.

هنالك مجموعة من التوصيات والمقترحات أبرزتها الدراسة تلخصت في تعريف المواطن بأنشطة اللجنة الشعبية العامة للسياحة وسياساتها في مجال تنشيط السياحة الداخلية ونشر الوعي السياحي بين المواطنين بالتعاون مع الاجهزة الاعلامية المختلفة، وتحديد الاختصاصات للجهات المعينة بتنشيط السياحة الداخلية وتكوين إدارات تهتم بالدعاية والإعلام السياحي والعلاقات مع وسائل الاعلام المختلفة والاهتمام بالجوانب التخطيطية. أجهد الباحث نفسه بجمع معلومات كثيرة عن السياحة والأنشطة الأخرى متجاهلاً حصر جهوده في تشريح دور الصحافة في تنشيط السياحة الداخلية في ليبيا، مما لفت نظر الباحث الي تحرى الدقة في جمع المعلومات التي تفيد دراسة الترويج السياحي بالسودان وعلاقة الدراسة بهذا البحث أنها درست الصحافة وهي واحده من وسائل الاتصال.

الدراسة الثالثة: (زيدان،1981)

المنهج ونوع الدراسة: تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، حيث اعتمد فيها الباحث علي منهج المسح الاجتماعي، ومن نتائجها المهمة: أنَ أهم وسائل الاتصال هي صندوق الشكاوى والمقابلات تليها الخطابات وهناك المطبوعات السياحية والدعوات للاتصال بالجمهور الخارجي، وأكدت على أهمية تدريب العاملين في هذا المجال لغياب الأسلوب العلمي في الممارسة. وأوصت الدراسة بإقناع الإدارة العليا بأهمية العلاقات العامة والاختيار السليم للعاملين في هذا المجال، والتنسيق بين كليات السياحة وادارة العلاقات العامة للاستفادة من البحوث العلمية، والاهتمام بالتدريب الداخلي والخارجي وتطوير وسائل الاتصال التي تستخدمها العلاقات العامة. كما أوضحت الدراسة عدم الاهتمام بوسائل الاتصال الجماهيري في مجال العلاقات العامة التي تخدم قضايا السياحة، والاعتماد بصورة أكبر علي مطبوعات المنشأة والمقابلات ونلاحظ أن هذه الدراسة ركزت على العلاقات العامة مما أعطى الباحث دافعية لدراسة وسائل الاتصال السودانية ومدى إمكانية الاعتماد عليها في دفع حركة السياحة بالسودان.

المحور الثاني: مداخل ومفاهيم

الترويج (المفهوم - الأهمية والأهداف)

يعتبر الترويج والتسويق السياحي ضرورة لمواجهة المنافسة السياحية في الأسواق المحلية والإقليمية والعالمية، ويحتاج هذا إلى الكثير من الأموال للإنفاق عليها بكفاءة واستمرارية، كما يتطلب الكثير من الجهود بدءاً بدراسة الأسواق السياحية الجاذبة للسياحة والتوجه إليها بالترويج السياحي، ووضع الخطط الترويجية والإعلامية العلمية مروراً بتوفير الكوادر المؤهلة والمدربة والمتميزة للعمل في مجال السياحة إلى جانب حسن اختيار القائمين بعملية الاتصال في الأسواق. والتعرف على ما يحدث فيها بصورة مستمرة (من متغيرات وتطورات) مع المقدرة على اتخاذ القرار السليم تبعاً لجميع الظروف الاتصالية إلي جانب توطيد العلاقة بين العاملين والمسئولين في شركات السياحة والاتحادات والمنظمات العاملة في مجال السفر والسياحة ومجال التسويق والترويج والدعاية والإعلان (البكري، 2007، ص11).

مفهوم الترويج: الترويج هو مجموعة متكاملة من الأنشطة التي تبذل من أجل التعريف بالمنتج السياحي وإقناع السائحين المحتملين وترغيبهم في المنتج السياحي وذلك بالإعلان والدعاية في الصحف والمجلات والتلفزيون والنشرات والملصقات والكتيبات وغيرها من الوسائل المتاحة بالإضافة إلي جهود العلاقات العامة الرامية إلي بناء صورة ذهنية جيدة وانطباع طيب من خلال البيانات والمعلومات الصادقة والواضحة والحقيقية عن الدول السياحية بما يساعد علي خلق طلب فعال علي منتجها السياحي (لطيف، 2002، ص104).

ويعرف الترويج بأنه: التنسيق بين جهود البائع في إقامة منافذ للمعلومات وفي تسهيل بيع السلعة أو الخدمة أو في قبول فكرة معينة وذلك باستخدام وسائل الاتصال المختلفة (العلاق وربابعة، 2007، ص 9-10).

يعد ترويج الخدمات السياحية أحد أهم عناصر الترويج التسويقي السياحي إن لم يكن الأكثر أهمية علي وجه الإطلاق، بل إن نجاح أي برنامج سياحي يتوقف علي قدرة شركة السياحة علي ترويج هذا البرنامج، حيث إن الترويج يقوم بعملية إحداث المعرفة لدي السائح عن الشركة وبرامجها وإحداث تفاعل إيجابي بين السائح وبين المعلومات التي يحصل عليها عن طريق الجهود الترويجية وتشجيعه وحفزه على القيام بسلوك إيجابي محوره التعاقد مع احد البرامج السياحية التي تقدمها الشركة أو خلق طلب كامن لديه يظل يشعره بالتوتر والقلق حتى يقوم بإشباعه ومن هنا فإن الجهود الترويجية لإنجاح البرامج السياحية، تنبع من أهمية الاتصال السياحي باعتباره المحور الفعال داخل مكونات المزيج الترويجي الأربعة (ملوخية، 2007): البيع الشخصي، الإعلان، تنشيط المبيعات، والنشر.

وظائف الترويج السياحي: ويمكن حصرها فيما يلي (العلاق وربابعة، 2007، ص11-12):

1- الترويج يخلق الرغبة لدي المستهلكين بالوصول إلى مشاعرهم وتذكيرهم بما يرغبون فيه ويحتاجون إليه.
2- الترويج يعلم المستهلك بتقديم المعلومات له عبر الوسائل الترويجية عن السلعة أو الخدمة الجديدة وما تقدمه من إشباع للرغبات وتعريفهم بأسعارها وأحجامها والضمانات التي تقدم.
3- الترويج يحقق تطلعات المستهلكين وتحويلهم إلي حياة كريمة ومميزة.
4- زيادة المبيعات والمحافظة على حجم كبير منها.
5- التغلب على مشكلة انخفاض المبيعات وإنقاذ المنتجات أو الخدمات من الانحدار، فالكثير من الخدمات كانت في طريقها إلى الزوال ولكن بفضل الترويج الذي أوجد استعمالات جديدة للسلعة أو الخدمة مما أنعش مبيعاتها مرة أخرى.
6- تقديم سلع أو خدمات جديدة وتعريف المستهلكين بالمزايا الجديدة التي تقدمها.

وعليه يمكن أن يلعب الترويج السياحي دوراً بارزاً ومهماً في تنشيط حركة السياحة وزيادة الإيرادات التي يمكن أن تساهم في الاقتصاد القومي. ولا يتأتى ذلك إلا بالاستخدام الأمثل للبيانات والمعلومات وتوظيف وسائل الاتصال المختلفة في المجال السياحي، لذلك تحتاج السياحة في السودان لحملات إعلامية مكثفة لنشر الثقافة السياحية بين متخذي القرار في الدولة وكذلك المواطنين وزيادة معرفة المستثمر بجودة الخدمات السياحية ومعرفة الأسواق العالمية للسياحة، عبر برامج تتبناها وسائل الاتصال بدلاً عن حصرها في وزارة السياحة لمحدودية ميزانيتها والتكلفة العالية لإنتاج البرامج السياحية بوسائل الاتصال.

وسائل الاتصال السياحي:

الإعلام السياحي هو مخاطبة الجماهير داخل البلاد وخارجها مخاطبة موضوعية وعقلية باستخدام عوامل الجذب السياحي والتشويق في تقديم المنتج أو الخدمة السياحية بقصد إقناع الجمهور وإثارة اهتمامه بأهمية السياحة وفوائدها وتكوين صورة ذهنية إيجابية في ذهن السائح تمكنه من البحث عن المغريات السياحية والمنتج السياحي في البلد المعين (البكري، 2007، ص179-180). وفيما يلي نستعرض أهم وسائل الاتصال التي تستخدم في الترويج السياحي وهي:

1. الصحافة: وهي وسيلة تمتلك القدرة على المزاوجة بين الكلمة المطبوعة والصورة وهي توفر للقارئ فرصة السيطرة على التعرض للرسالة متى ما شاء (أبو أصبع، 143،1998-144)، وتعد الصحافة وسيلة مناسبة وملائمة لإيصال الرسائل السياحية يومياً وبخاصة البرامج السياحية من حيث التكرار

في صفحة محددة لمدة متكررة وهي بذلك أكبر الوسائل الإعلامية فاعلية في المؤسسات السياحية لانتشارها وتنوع أشكالها وموضوعاتها سواء كانت عامة أم خاصة.

2. المجلات: تعتبر المجلات من الوسائل الفعالة في نشر الثقافة السياحية النوعية والتي تأخذ الشكل المطبوع وتتنوع تلك المجلات من مجلات عامة لمختلف فئات الجماهير ومجلات متخصصة والتي تعني بجانب معين من الجوانب مثل المجلات السياحية المتخصصة في المجال السياحي.
3. التلفزيون: التلفزيون وسيلة اتصال جماهيرية له المقدرة علي نقل الصورة المتحركة والصوت واللون إلى المتلقي إذ يقوم بمخاطبة حاستي السمع والبصر مما يجعله أكثر تأثيراً وقوة على مشاعر وأحاسيس المتلقي.
4. الإذاعة: وهي وسيلة اتصال تخاطب حاسة السمع وتعتبر من أفضل الوسائل خاصة بالنسبة للموضوعات التي يمثل الصوت فيها محور الاهتمام مثل الموسيقي والأغاني والأحداث الجارية، وتستخدم في الترويج السياحي الذي يتطلب نوعية خاصة من الرسائل السياحية المعتمدة على الجانب الخبري.
5. السينما: السينما وسيلة جيدة للترويج للسياحة ولها تأثير نوعي قوى إذا ما تم إعدادها بعناية، وتستطيع أن تصل إلي جمهور نوعي خاص وتعد وسيلة للتسلية والتعليم والإرشاد والتثقيف وتعتبر الأفلام السينمائية التسجيلية أقوي وسائل الاتصال أثراً في المجال السياحي (رشوان، 1987، ص10).
6. الانترنت: يعد الإنترنت من وسائل الاتصال الحديثة وليد تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة فهو آخذ في النمو، وتقوم الأجهزة والشركات بتصميم مواقع لها على الانترنت تعلن فيها على أنشطتها السياحية ومنتجاتها وتسهيلاتها والعروض التي تقدمها تجذب انتباه المستهلك وإثارة اهتمامه.
7. الهاتف: الهاتف كوسيلة اتصال غير مباشر بين المرسل والمتلقي، ويلزم توافر مهارات معينة لتحسين وسيلة الاتصال باستخدام الهاتف ولابد من وجود دليلٍ للهاتف في كل المناطق السياحية (عامر، 1986، ص182).
8. الكتيبات: تستخدم المنشآت السياحية الكتيبات التي تحتوي على بيانات يرغب السائح في معرفتها من حيث الأسعار والفنادق والأماكن الترفيهية والرحلات وطريقة التأشيرات.
9. الملصقات: وهي رسالة جمالية تحرص الدول السياحية الكبرى على استخدامها، ويزيد من أهمية الملصقات وقوة تأثيرها جاذبية فكرتها وطريقة عرضها إلى جانب اهتمامها باللون كأحد عناصر جذب الانتباه.
10. الصور: تستخدم للتعبير عن جمال وروعة المكان والمعالم السياحية في وسائل الاتصال أو منفردة، ويتم توزيعها في التجمعات ويجب أن تكون الصور حديثة وزاهية الألوان وواضحة.
11. النشرات السياحية: توفر للسائح معلومات سريعة ومبسطة عن المعالم السياحية وتتسابق الدول والمنشآت السياحية لإصدار هذه النشرات التي تحتوي علي صور ومعلومات تهم السائحين وهي أداة طيبة لاكتساب ثقة السائحين (مصطفي، 2009، ص146).
12. المهرجانات السياحية: تعتبر هذه الوسيلة من أنجح وسائل الاتصال التي تستخدمها الأجهزة الرسمية في الدول السياحية وكذلك الشركات السياحية الضخمة ذلك لتنشيط الحركة السياحية في مواسم معينة وهناك العديد من المهرجانات أهمها (مهرجانات فنية- ثقافية- رياضية) (بيمك، 2007، ص50).

13. المؤتمرات السياحية: أصبحت إقامة المؤتمرات السياحية المهنية من أهم الوسائل والأدوات التي تهتم بها الدول السياحية وذلك لتأثيرها المباشر والسريع في حلقة تنظيمها من خلال تحسين صورة الدولة السياحية.
14. المعارض الجماهيرية: تعتبر إقامة المعارض الجماهيرية من الوسائل المهمة لتنشيط السياحة وهي عادة ما تستخدم داخل الدولة من خلال إقامة تلك المعارض في الأماكن التي توجد بها الشرائح المراد التأثير فيهم وعادة تستخدم هذه الوسيلة عند تنشيط السياحة الداخلية.
15. الدعوات والخطابات وبطاقة البريد: تستخدم المنشآت السياحية الدعوات في المناسبات المختلفة وترسل عن طريق البريد العادي أو الفاكس أو البريد الالكتروني ومن المعروف أن الدعوة ذات التصميم الفني الفريد المبتكر يزداد تأثيرها.

نظراً للخصائص المختلفة لهذه الوسائل مجتمعة يجب الاستفادة من هذا التنوع لخدمة السياحة والاستفادة القصوى منها في تكوين صورة سياحية ممتازة تساهم فيها كل وسيلة حسب خصائصها وصفاتها وسماتها.

المحور الثالث: الجانب التطبيقي

الإجراءات المنهجية

أولاً: نوعية الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى مصفوفة الدراسات المسحية، وهي دراسة لمعرفة واقع الترويج السياحي في وسائل الاتصال السودانية، من خلال مسح فئات متنوعة وذات علاقة وثيقة بالسياحة وفي نفس الوقت تنتمي أو تدور في فلك الإعلام ووسائله، من أجل كشف دور وسائل الاتصال في الترويج السياحي.

ثانياً: منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج المسحي الذي يساعد في الحصول على معلومات من فئات متعددة الخصائص وتبويب هذه البيانات وتنظيمها، كما تستعين الدراسة بالمنهج الإحصائي لتحليل أرقام الدراسة الميدانية واستخلاص دلالاتها.

ثالثاً: تحديد الإطار العام لمجتمع الدراسة:

لتحديد مجتمع الدراسة استخدم الباحث العينة الطبقية (Stratified sample) وهي أحد أنواع العينات الاحتمالية، كإجراء أولى يمكن عن طريقه تمثيل قطاعات (السياحة، الصحافة، الإذاعة والتلفزيون) في ولاية الخرطوم.

رابعاً: عينة الدراسة:

للوصول إلى العينة المختارة من مجموعات مجتمع البحث (المؤسسات السياحية والمؤسسات الإعلامية) تم استخدام العينة العمدية وذلك لضرورة اختيار أفراد لهم معرفة متخصصة (purposive sample) لاختيار أفراد العينة وحجمها 99 مفردة.

خامساً: أداة جمع المعلومات

استخدم الباحث الاستبانة كأداة أساسية لجمع البيانات والمعلومات من عينة البحث.

سادساً: أدوات التحليل Analysis tools

اعتمد الباحث في تحليل البيانات على استخدام برنامج SPSS (الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية).

عرض وتحليل البيانات:

محور البيانات الشخصية

جدول (1): عينة مجتمع الدراسة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية %
ذكر	86	86.9
أنثي	13	13.1
المجموع	99	100

يوضح الجدول (1) المتعلق بالفئات التي اشتركت في عينة الدراسة، أن فئة الذكور نالت المرتبة الأولى بنسبة بلغت 86.9%، بينما كانت نسبة الإناث13.1% من عينة مجتمع الدراسة. تؤكد البيانات غلبة فئة الذكور على الإناث في عينة الدراسة.

جدول (2): عينة مجتمع الدراسة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية %
أقل من 30سنة	12	12.1
أقل من 40 سنة	31	31.3
أقل من 50سنة	28	28.3
أقل من 60سنة	21	21.1
60 سنة فما فوق	7	7.3
المجموع	99	100%

يوضح جدول (2) أن فئة (أقل من 40 سنة) نالت المرتبة الأولى بنسبة 31.3%، وثانياً فئة (اقل من 50سنة) بنسبة 28.3%، وثالثاً فئة (أقل من 60 سنة) بنسبة 21.1%، ورابعاً (أقل من 30 سنة) بنسبة 12.1% وفي المرتبة الأخيرة الفئة (60 سنة فأكثر) بنسبة 7.3%. وبهذا تشير البيانات إلى أن الأعمار أقل من 60 وحتى 30 سنة متقاربة في التمثيل بعينة الدراسة وهنالك ضعف في تمثيل العمر فوق 60 سنة وهذا يدل على حداثة الاهتمام بالنشاط السياحي في السودان.

جدول (3): عينة مجتمع الدراسة حسب المؤهل التعليمي

المؤهل	التكرار	النسبة المئوية %
أقل من الثانوي	0	0
ثانوي	3	3.0
جامعي	37	37.4
فوق الجامعي	59	59.6
المجموع الكلي	99	100

يلاحظ في الجدول (3) أعلاه أن فئة (فوق الجامعي) كانت الأولي بنسبة بلغت 59.6%، تليها فئة (جامعي) بنسبة 37.4%، وثالثاً فئة ثانوي بنسبة 3.0%، بينما فئة (أقل من الثانوي) صفر. وهذا يؤكد أن العينة نوعية تميل إلى التخصص.

محور أسئلة وسائل الاتصال

جدول (4): توزيع عينة مجتمع الدراسة على موضوع التواصل مع وسائل الاتصال

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
ضروري	92	92.9
ضروري إلي حد ما	6	6.1
غير ضروري	1	1.0
المجموع	99	100

يلاحظ من الجدول رقم (4) أن عبارة (ضروري) المرتبة الأولى بنسبة 92.9 %، أتت في المرتبة الثانية عبارة (ضروري إلى حد ما) بنسبة 6.1%، وأخيراً عبارة (غير ضروري) بنسبة 1.0%. تؤكد البيانات أهمية وسائل الاتصال وضرورة التواصل معها.

جدول (5): توزيع عينة الدراسة على وسائل الاتصال ومدي متابعتها للنشاط السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية%
الصحافة	13	13.1
الإذاعة	7	7.1
الفضائية	46	46.5
المواقع الاجتماعية (الإنترنت)	4	4.0
المؤتمرات والندوات	2	2.0
المعارض	2	2.0
الملصقات والإعلانات	1	1.0
كل ما ذكر	24	24.2
المجموع الكلي	99	100

يتضح من الجدول رقم (5) أن متابعة السياحة عبر (الفضائية) نال المرتبة الأولى بنسبة بلغت 46.5%، والمرتبة الثانية (كل ما ذكر) أي المتابعة عبر كل الوسائل الاتصالية بنسبة 24.2%، والمرتبة الثالثة (الصحافة) بنسبة 13.1%، وفي المرتبة الرابعة (الإذاعة) بنسبة 7.1%، وفي المرتبة الخامسة (المواقع الاجتماعية) بنسبة 4.0%، وفي المرتبة السادسة وسيلتي (المؤتمرات والمعارض) بنسبة 2.0%، والمرتبة السابعة (الملصقات والإعلانات) بنسبة 1.0%. وهذه البيانات تدل على اهتمام الجمهور بمتابعة النشاط السياحي عبر الفضائية السودانية، وهنالك ضعف في متابعة الوسائل الأخرى.

جدول (6): توزيع عينة الدراسة على علاقة وسائل الاتصال بتنشيط الحركة السياحية

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أوافق	93	93.9
لا أوافق	6	6.1
لا أ عرف	0	0
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (6) أن عبارة (أوافق) نالت المرتبة الأولى بنسبة بلغت 93.9%، وفي المرتبة الثانية عبارة (لا أوافق) بنسبة 6.0 %، فيما لم تنل عبارة (لا أعرف) أي اهتمام. أوضحت البيانات أهمية وسائل الاتصال في تنشيط حركة السياحة.

جدول (7): رأي العينة على تقديرات وسائل الاتصال في إبراز عناصر الجذب السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
ممتازة	5	5.1
جيدة	15	15.2
مقبولة	33	33.3
ضعيفة	41	41.4
لا توجد	5	5.0
المجموع الكلي	99	100

يلاحظ من الجدول (7) أن تقدير(ضعيفة) لوسائل الاتصال في إبراز عناصر الجذب السياحي، في المرتبة الأولى بنسبة 41.4%، وفي المرتبة الثانية تقدير (مقبولة) بنسبة 33.3%، وفي المرتبة الثالثة تقدير(جيدة) بنسبة 15.2%، في المرتبة الرابعة تقديري (ممتازة، لم تهتم) بنسبة بلغت 5.0%. تؤكد العينة ضعف إبراز عناصر الجذب السياحي من خلال وسائل الاتصال.

جدول (8): توزيع العينة على مدى استخدام الصحافة في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	14	14.1
تستخدم أحياناً	71	71.7
لا تستخدم	14	14.1
المجموع	99	100

يتبين من الجدول رقم (8) أن عبارة تستخدم أحياناً نالت المرتبة الأولى بنسبة بلغت 71.7%، وفي المرتبة الثانية عبارتي (تستخدم دائماً، ولا تستخدم) بنسبة بلغت 14.1%.

جدول (9): توزيع عينة الدراسة على مدي استخدام الإذاعة في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	14	14.1
تستخدم أحياناً	74	74.7
لا تستخدم	11	11.1
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (9) أن عبارة تستخدم أحياناً في المرتبة الأولى بنسبة 74.7%، وثانياً عبارة (تستخدم دائماً) بنسبة 14.1 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 11.1%.

جدول (10): توزيع عينة الدراسة على مدي استخدام الفضائية في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	23	23.2
تستخدم أحياناً	70	70.7
لا تستخدم	6	6.1
المجموع	99	100

يوضح الجدول رقم (10) أن عبارة تستخدم أحياناً بلغت 70.7%، المرتبة الثانية عبارة (تستخدم دائماً) بنسبة 23.2 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 6.1%.

جدول (11): توزيع عينة الدراسة على مدي استخدام المواقع الاجتماعية في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	24	24.2
تستخدم أحياناً	64	64.6
لا تستخدم	11	11.1
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (11) أن عبارة تستخدم أحياناً بنسبة بلغت 64.6%، والمرتبة الثانية عبارة (تستخدم دائماً بنسبة 24.2 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 11.1%.

جدول (12): توزيع عينة الدراسة على مدى استخدام المؤتمرات والندوات في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	21	21.2
تستخدم أحياناً	67	67.7
لا تستخدم	11	11.1
المجموع	99	100

يتبين من الجدول رقم (12) أن عبارة تستخدم أحياناً (المؤتمرات والندوات) في الترويج السياحي بنسبة بلغت 67.7%، وفي المرتبة الثانية (تستخدم دائماً) بنسبة 21.2%، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 11.1%.

جدول (13): رأي عينة الدراسة على مدي استخدام المعارض في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	30	30.3
تستخدم أحياناً	61	61.6
لا تستخدم	8	8.1
المجموع	99	100

يوضح الجدول رقم (13) أن عبارة تستخدم أحياناً بنسبة بلغت 61.6%، والمرتبة الثانية عبارة (تستخدم دائماً) بنسبة 30.3 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 8.1%.

جدول (14): رأي عينة الدراسة على مدي استخدام الملصقات والإعلانات الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	24	24.2
تستخدم أحياناً	61	61.6
لا تستخدم	14	14.1
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (14) أن عبارة تستخدم أحياناً بنسبة بلغت 61.6%، وفي المرتبة الثانية (تستخدم دائماً) بنسبة 24.2 %، وفي المرتبة الثالثة (لا تستخدم) بنسبة 14.1%.

جدول (15): توزيع عينة الدراسة على مدي استخدام النشرات والكتيبات في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	28	28.3
تستخدم أحياناً	60	60.6
لا تستخدم	11	11.1
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (15) أن عبارة تستخدم أحياناً أولاً بنسبة بلغت 60.6%، وثانياً عبارة (تستخدم دائماً) بنسبة 28.3 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 11.1%.

جدول (16): رأي عينة الدراسة على مدي استخدام المهرجانات والرحلات في الترويج السياحي

العبارة	التكرار	النسبة المئوية %
تستخدم دائماً	27	27.3
تستخدم أحياناً	61	61.6
لا تستخدم	11	11.1
المجموع	99	100

يشير الجدول رقم (16) أن عبارة تستخدم أحياناً (المهرجانات والرحلات) بلغت نسبتها 61.6%، والمرتبة الثانية عبارة (تستخدم دائماً بنسبة 27.3 %، وفي المرتبة الثالثة عبارة (لا تستخدم) بنسبة بلغت 11.1%. وبهذا تؤكد العينة ومن خلال قراءة الجداول من 8 وحتى الجدول 16 إلى أن هنالك عدم اهتمام وتنظيم لاستخدام وسائل الاتصال في الترويج للسياحة في السودان.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

1- أبانت الدراسة أن وسائل الاتصال عامل مؤثر للقيام بالرحلات السياحية.
2- كشفت الدراسة أن التواصل مع وسائل الاتصال السودانية ضروري لأغراض السياحة.
3- أبرزت الدراسة ضعف الإمكانات الفنية والمهنية لدى القائمين على أمر الترويج السياحي في السودان.
4- تبين من الدراسة وجود علاقة وثيقة بين وسائل الاتصال وتنشيط الحركة السياحية، ومعظم المعلومات عن المنتج السياحي تصل إلى الجمهور عبر وسائل الاتصال.
5- كشفت الدراسة ضعف إبراز وسائل الاتصال السودانية لعناصر الجذب السياحي السودانية.
6- أبانت الدراسة عدم الاهتمام الكافي بالترويج السياحي في السودان من جانب: الصحافة، الإذاعة، التلفاز، المواقع الاجتماعية، المؤتمرات والندوات، ا لمعارض، الملصقات والإعلانات، النشرات والكتيبات، المهرجانات والرحلات.

ثانياً: التوصيات

1- على وسائل الاتصال بمختلف أشكالها الاهتمام بطرائق توصيل رسالتها للجمهور، لكي يتم تعريف الجمهور الداخلي والخارجي بالسياحة ومقوماتها وأهميتها للفرد والمجتمع.
2- الاهتمام بالبرامج التثقيفية في المجال السياحي لزيادة الوعي السياحي لدى كافة قطاعات المجتمع.
3- ترسيخ مفهوم الترويج السياحي لدى العاملين في وسائل الاتصال السودانية.
4- الاهتمام بتغطية الفعاليات السياحية بالمركز والولايات وتفعيل دور وسائل الاتصال في العمل السياحي.

5- طرح مسابقات في الترويج السياحي تمكن من الوصول إلى أفضل مقترح في الترويج السياحي للاستفادة منه في وسائل الاتصال.
6- عقد الدورات التدريبية والتأهيلية وورش العمل لبناء قدرات العاملين في وسائل الاتصال في الترويج السياحي.

المراجع:

أبوأصبع، صالح خليل (1998). العلاقات العامة. الاتصال الإنساني. دار الشروق للنشر،ط1، الأردن.

البكري، فؤاده عبد المنعم (2007). التسويق السياحي وتخطيط الحملات الترويجية في عصر تكنولوجيا الاتصالات. عالم الكتب، ط1 القاهرة: عالم الكتب.

العلاق، بشير عباس و ربابعة، علي محمد (2007). الترويج والإعلان التجاري. دار اليازوري العالمية للنشر، عمان.

الهمالي، عادل القنطري حسن (2006). دور الصحافة في تنشيط السياحة الداخلية، دراسة علي الجمهور الليبي. رسالة ماجستير، جامعة وادي النيل، السودان.

امر، سعيد يسن (1986). الاتصالات الإدارية والمدخل السلوكي لها، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

اندرسون، جولي (2004). كنوز السودان. ترجمة عكاشة الدالي،ط1 نشر المتحف البريطاني.

بيمك (2007). المناهج التدريبية المتكاملة: منهج المهارات السياحية. خبراء مركز الخبرات المهنية، ط3، القاهرة.

حامد، هالة والشحات، أماني إبراهيم (2005). تأثير الأمن والأمان علي استمرارية الحركة السياحية في مصر. المؤتمر الدولي الرابع، جامعة قناة السويس.

حسين، سمير محمد (1999). دراسات في مناهج البحث: بحوث الاعلام. عالم الكتب، ط3، القاهرة.

رشوان، حسين عبد الحميد أحمد (1987). العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

زيدان، أحمد محمد أحمد (1981). العلاقات العامة في السياحة. رسالة ماجستير، جمهورية مصر العربية

طايع، سامي (2001). بحوث الإعلام. دار النهضة العربية، القاهرة.

عبد الحكيم، محمد صبحي والديب، حمدي احمد (2001). جغرافية السياحة. ط2، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

عثمان، خالدة علي يحي (2002). رسالة ماجستير، جامعة أمدرمان الإسلامية، السودان

عجوة، علي (1983). العلاقات العامة والصورة الذهنية. ط1 4. عالم الكتب، القاهرة.

لطيف، هدى سيد (2002). السياحة مدخل ورؤية. هبة النيل العربية للنشر، القاهرة.

مسعد، محي محمد (2001). التنظيم الدولي السياحي بين الفكر والواقع. مطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة.

مصطفي، محمود يوسف (2009). العلاقات العامة في المجال التطبيقي. الدار العربية للنشر، القاهرة.

ملوخية، أحمد فوزي (2007). التنمية السياحية. ط1، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية.

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

التعددية الثقافية- رؤية تأصيلية

عبد الكريم عثمان علي

الجامعة القاسمية- الشارقة

المؤلف:**aabidkreem@yahoo.com**

المستخلص:

في هذه الورقة دراسة لقضية التعددية الثقافية عبر تقريب معناها من خلال دراسة إشكالية المصطلح، ثم عرض البناء المفاهيمي للفكرة في نصوص الدين، مع ذكر موجز عن تجارب المسلمين في تطبيق الفكرة مع التركيز على التحديات التي تواجه الدولة القُطرية في العصر الحالي، وخلصت الورقة إلى أن التعددية الثقافية نظرية سياسية لم يتم الاتفاق عليها كمصطلح محدد المعالم ولكنها بأي حال لا تعني الحياد التام، وعليه فيمكن الإفادة منها وفق موجهات الفكر الإسلامي، وكذلك أبرزت الورقة التحديات الكبيرة التي تواجهها الدولة القُطرية – عربية وإسلامية – وإشكالات الهوية والمواطنة، وكيف يمكن الوصول إلى صيغة للتعايش المشترك تكون التعددية الثقافية واحدة من أهم آلياتها.

كلمات مفتاحية: التعددية الثقافية- الثقافة الإسلامية- القرآن.

Multiculturalism, Originality View Point

Abdelkareem Osman Ali

Alghasmia University, Elsharga, UAE

ABSTRACT

This paper attempts to study the issue of multiculturalism between the ideology of religion and political theorizing by bringing the meaning of multiculturalism closer together by examining the problematic of the term. The paper concludes that multiculturalism is a political theory that has not been agreed upon as a well-defined term, but in any case does not imply complete neutrality. Therefore, it can be utilized according to the guidelines of Islamic thought, as well as the great challenges facing Arab and Islamic States and the problems of identity and citizenship, and how a formula for coexistence can be reached. Multiculturalism is one of its most important mechanisms.

Keywords: Multiculturalism, Islamic culture, Holy Quran

مقدمة:

الفكر الإسلامي غني بفكرة التنوع، ومصادر التشريع الإسلامي مليئة بالمرجعيات التي تعتبر أساساً لفكرة العيش المشترك، من هذه المرجعيات مسألة الحرية واحترام الخصوصيات التي ركب موجتها الغرب فتجاوز فيها الحد على الرغم من اعتراف كثير من منظريهم باستحالة تحقيق الحياد التام على مستوى الدولة.

وسنناقش في هذه الورقة قضية التعددية الثقافية التي تعتبر نظرية حديثة في العيش المشترك واحترام الأقليات، من خلال دراسة المصطلح ونشأته وتطوره وتعدد آراء المنظرين فيه، ولما كانت الورقة معنية بدراسة هذا الموضوع وتأصيله، فإننا سنعرض لهذه القضية من وجهة النظر الإسلامية الكلية دون الخوض في التفاصيل الفقهية الدقيقة، فنكتفي بذكر شيء من الكليات التي تندرج تحتها كثير من الجزئيات، ونردفها بذكر ملامح من تجربة الإسلام السمحة التي تظهر احترام إنسانية الانسان وحفظ كرامته وخصوصيته دون المساس بثوابت العقيدة ومبادئ الدين.

وقد جاءت الورقة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، في المبحث الأول عرضت لمصطلح التعددية الثقافية ونشأته وتطوره، وكيف ينظر إليه المنظرون السياسيون من أهل الغرب، وتبين تفاوت أفهامهم لهذه القضية بسبب غياب المرجعية الفكرية التي يمكن أن يستندوا إليها، وفي المبحث الثاني عرضت لموضوع البناء المفاهيمي للفكرة في النصوص الإسلامية، وفي المبحث الثالث استعرضنا شيئا من التطبيق العملي لاحترام التنوع في مسيرة التاريخ الإسلامي، ثم أخيرا تأتي الخاتمة ملخصة لما جاء في الورقة.

المبحث الأول: حول التعددية الثقافية

التنوع في الحياة الإنسانية هو سر بقائها وسبب استمرارها، والتنوع مفردات كثيرة، وتعد التعددية الثقافية تجلياً وانعكاساً ومظهراً لهذا التنوع، ولمعرفة حقيقتها سنلقي الضوء على مفردتي التعددية والثقافة، فالتعدد عند أهل اللغة يعني الكثرة (ابن منظور، 1968، ص282) وإذا كانت الكثرة تبدأ بعد الرقم واحد فيمكننا مشاهدة تعدد مذهل في الوجود الذي نعيش فيه.

أما الثقافة فدلالتها اللغوية واسعة، فمن معانيها: أن الرجل الثَقِف هو الرجل المُحكِم للأمور (الثعالبي، 1997م، ص401)، وقد تعني الحذق والفطنة، قال ابن منظور: ثقفت الشيء :حذقته، ...وثَقُفَ الرجل ثقافة : أي صار حاذقاً خفيفاً ، وثَقِفَ أيضاً ثَقَفاً مثل تعِب تعَباً : أي صار حاذقاً فطناً(ابن منظور، 1968ص 19)، ولها عدة معان أخرى لا تبدو بعيدة عن هذا الإطار، وإذا أردنا أن نتحدث عن المعني الاصطلاحي للثقافة فلابد أن نذكر الخصوصية التي يتمتع بها مصطلح الثقافة من حيث البيئة والنشأة، "لأن دراسة مفهوم الثقافة العلمي يفترض دراسة تطوره التاريخي ، وهو تطور يرتبط مباشرة بالتكون الاجتماعي للفكرة الحديثة عن الثقافة، هذا التكون الاجتماعي يكشف أن تباينات اجتماعية وقومية تكمن وراء الاختلافات الدلالية المسندة للتعريف الصائب الواجب إضفاؤه على الكلمة (كوش، 1997 م، ص 11)، وإذا كان الأمر كذلك فإن سعي الكثيرين نحو تعريف متفق عليه للثقافة يعد بحد ذاته واحدة من المشكلات المنهجية في التعامل مع الثقافة، فإذا كنا نتفق أن الثقافات تختلف فإن هذا الاختلاف نفسه هو الذي يحتم تقديم تعريفات مختلفة نابعة من تصورات مختلفة، ولطبيعة البحث سنتجاوز التطور الدلالي لمصطلح الثقافة ونذهب مباشرة إلى ما يهمنا في هذا البحث وهو معرفة المنظومة البانية للثقافة، واستكشاف أبعاد وفرص التعدد فيها، ويمكننا تجاوز كم هائل من التعريفات والمقاربة عبر التعريف الشهير للثقافة كنموذج، وهو التعريف الذي ذكره تايلور (1917-1832م)، "الثقافة هي هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن

والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع(كوش، 1997م، ص31).

من هنا يمكننا أن نتحدث عن ثقافات وليس ثقافة واحدة، ثقافات عديدة تتكون بطريقة مركبة ومعقدة تتداخل فيها السياسة والدين والأخلاق وكثير من المعطيات، لأن الثقافة "تشكل المكون الأساسي للبناء الاجتماعي، لأنها هي التي تصوغ المحتوى الفكري والحضاري والفني لمجتمع ما، إذ إن الوجودات البشرية تتمايز في ثقافتها الذاتية بتمايز منابع الثقافة والوعي الجمعي، ومن هنا فإن للثقافة التأثير المباشر علي النسق الاجتماعي والنفسي، وجميع الأطر والأوعية التي يبديها المجتمع لتسيير شؤونه أو تطوير وضعه المادي والمعنوي، لأن الثقافة كائن حيّ يتطور باستمرار ويتكيف بشكل إيجابي مع التطورات والمتغيرات الجديدة، وعلي هذا الأساس تُعتبر الثقافةُ أسلوباً من أساليب التهذيب الاجتماعي، ونمطاً من أنماط صياغة المجتمع مع ما يتناسب والقيم والمبادئ التي تنادي بها تلك الثقافة (محفوظ، ص97)، وقديماً تحدث الناس عن التعايش بين الثقافات، وعن دور الممارسة السياسية للدول في إدارة التنوع ، وهناك تجارب مختلفة في هذا الصدد، ومع تطور الحياة الإنسانية في مجالاتها المختلفة تطور التناول لموضوع التنوع الثقافي وتداخل مع السياسة والقانون، حتي وصل الأمر إلي قضية التعددية الثقافية للدلالة على موضوع محدد، فما هي التعددية الثقافية وما تاريخها؟

تعرف التعددية الثقافية (Multiculturalism) بأنّها: نظرية وسياسة في التعامل مع التنوع الثقافي، بحيث يستند إلى فكرة اقتسام السلطة ما بين الجماعات الثقافية في مجتمع ما، وعلى أساس المساواة والعدالة الثقافيتين، والاعتراف رسمياً بكون تلك الجماعات متمايزة ثقافياً، ومن ثم تطبيق ذلك عملياً من خلال سياسات معينة تميل إلى مساعدة تلك الجماعات، والتعزيز من تمايز كل منها ثقافياً. أما من حيث كونها سياسة وهي عادة ما تعرف بتسمية سياسة التعددية الثقافية فهي من قبيل آليات عمل تهدف إلى معالجة الحرمان بشكل عام(مجيد، 2010، ص34)، وقد تجاذبت مصطلح التعددية الثقافية اتجاهات مختلفة ولكنها في النهاية لا تخرج عن الإقرار بأن التعددية الثقافية نظرية سياسية ، يقول ويل كمليكا: "وأنا استخدم مصطلح التعددية الثقافية كمصطلح شامل يغطي مساحات واسعة من السياسات التي تستهدف توفير مستوى معين من الاعتراف العام، ومساندة المجموعات العرقية الثقافية غير المسيطرة، سواء كانت هذه الجماعات أقليات جديدة كالمهاجرين واللاجئين، أو أقليات قديمة كالأقليات المستقرة تاريخياً والسكان الأصليين، وهذا يغطي أنواعاً مختلفة من السياسات لأنواع مختلفة من الأقليات (كمليكا،2011م،ص32)، ويبدو أن هناك جدلاً كبيراً حول هذا المصطلح، ويمكننا تلمس ذلك من خلال استخدام مصطلحات أخرى متقاربة وذلك بحسب ما يثار في مجتمعات معينة من قضايا الحقوق الثقافية بمختلف مستوياتها، ويمكننا رؤية ذلك من كلام كمليكا وهو من كبار المنظرين في هذه الموضوع إذ يقول : "وقد اقترح باحثون آخرون بدائل أخرى تصلح مصطلحات شاملة تستطيع أن تغطي القضايا التي أثارتها الأنواع المختلفة من التنوع الثقافي العرقي مثل: سياسات التنوع، والحقوق الثقافية وحقوق الجماعة و حقوق المجتمع والمواطنة المتميزة والكثرة الدستورية والكثرة اللبرالية – إن شئنا أن نذكر بضعة أسماء فقط، وتعاني جميع هذه المصطلحات من إمكان إساءة فهمها وهو ما لن أعرضه هنا، وعلى أي حال فهي أقل استخداماً من قبل المنظمات الدولية من التعددية الثقافية، وعلى ذلك ففي غياب البديل المقبول بصفة عامة فإنني سوف أتمسك بمصطلح – التعددية الثقافية - على الرغم من قصوره(ويل كمليكا،2011م ، ص34).

وبعض من الدارسين يربط مصطلح التعددية الثقافية بالتنوع العرقي في المجتمعات الغربية الناتج في الغالب من الهجرات المنظمة وغيرها، وعلى هذا "فالتعددية الثقافية عادة ما تشير إلى السياسات التي تضعها الدول المركزية والسلطات المحلية لتنظيم وإدارة التعددية العرقية الجديدة التي أحدثها وجود السكان المهاجرين غير البيض بعد الحرب العالمية الثانية(راتانسي،2013م ، ص21)، يشير هذا الكلام إلى تاريخ وجغرافية المصطلح والاهتمام به وارتباطه بالواقع العالمي المتداخل بفعل سياسات العولمة والانفتاح الثقافي، وكذلك

بفعل السيطرة الثقافية والتفوق الاقتصادي، إذاً يمكننا القول إن التعددية الثقافية نشأت في ظرف خاص تمثَّل في الواقع السياسي والاقتصادي في الدول الغربية، هذا الأمر قد يختلف باختلاف الواقع الذي تعيشه كل دولة، لكن يمكننا أن نرى سياسات موحدة في المنظمات العالمية والأممية على الأقل في مستوى التقنين النظري للحقوق الثقافية للأقليات، ولا يختلف اثنان في أن هناك اختلافاً كبيراً بين الدول الغربية من جهة والدول العربية والإسلامية من جهة أخرى، ليس فقط من حيث التطور و التقدم العلمي والعسكري، بل في طريقة التكوين والنشأة، وفي طريقة التركيب الديمغرافي والتكوين الاجتماعي والثقافي، ولذلك لابد أن نكون حذرين ونحن نتكلم عن مصطلح ظهر حديثاً وفق معطيات ثقافية واجتماعية وسياسية معينة، ولابد أن نكون أكثر دقة في التعامل مع كثير من المصطلحات التي إذا أُخذت خارج السياق الذي نشأت فيه ربما تكون سبباً إضافياً في تأزيم المتأزم أصلاً وزيادة التعقيد.

إذاً نستطيع القول إن التعددية الثقافية "تنشأ من تجربة العيش في مجتمع تعددي ومتسامح فكرياً، له تكوين متنوع من الوجهة الثقافية والاجتماعية ، يقوم على تكريم الناس وتقديرهم، واختيار حقهم في اختيار طريقة الحياة التي تناسبهم وتعبر عن هويتهم بما لا يخل بوحدة الجماعة وانسجامها، فالتعددية الثقافية ضمن هذا التصور تحيل إلى منظور فكري، وإلى آليات محددة للتعامل مع الواقع المجتمعي المتنوع بما يسمح بالمشاركة في الشأن العام وصناعة القرار لصالح مختلف المكونات الثقافية الفرعية داخل الجماعة والاعتراف بإسهاماتها المميزة في المجتمع (الطويل، 2012م، ص41).

إن دراسة التعددية الثقافية كمصطلح ظهر في الآونة الأخيرة لا يمكن الإحاطة به في هذه المساحة، لكن من المهم التأكيد على أن التعددية الثقافية نشأت في الدول الغربية في ظل ظروف تختلف عن التي يعيشها عالمنا العربي والإسلامي، كما لابد من التأكيد على أن التعددية الثقافية لها آليات عديدة ومرتكزات تقوم عليها ، ولها كذلك محاذير ومخاطر إذا لم يتم التعامل معها بموازنات دقيقة، تتمثل في إعادة انبعاث الهويات وتهديد عملية الاندماج التي هي حجر الزاوية في البناء السياسي لأي مجتمع، إن مجتمعاتنا في العالم العربي والإسلامي في أمس الحاجة للنظر في الإفادة من التعددية الثقافية التي هي صاحبة ميراث عريض فيها، بحكم التجربة العالمية التي عاشها أسلافنا، وبشمول الفكر الإسلامي الذي أُهمل وتم تحجيم شموليته عبر ممارسات استبدادية عانت منها الأمة لفترات طويلة، إن التباينات الثقافية في الدول الإسلامية تباينات حادة وخطيرة، فهناك تعدد ديني وعرقي وطائفية قديمة، وحتي المنتمين للتيار الإسلامي العام منقسمين بين لبراليين ومحافظين وسلفيين وحركات إسلامية ومذاهب فقهية، وغيرها من الكيانات، كل هذا ظهرت خطورته وتنامى فيه التهديد لكيان الدول ووحدتها، وبدأت تلوح في الأفق القريب بوادر التقسيم والتشظي في زمن يسعى فيه العالم نحو الاندماج والتوحد في مؤسسات عملاقة رغم التباين الموجود في تلك المجتمعات.

هذه التعددية تقابل باعتراض بعض الباحثين الإسلاميين، إذ يرون في الاستجابة لها ولقضية المواطنة خروجاً على إسلامية الدولة ونزوعاً نحو العلمانية، وما يقولون إنه دعوة لفصل الدين عن الدولة، وهذا موضع نزاع يحتاج إلى تحرير، لكن المكان لا يسمح بذلك، ولا نوافق على هذا الاعتراض وسيأتي التعليق عليه، وفي تقديري أننا نعاني من مشكلة مصطلحات ومن تعميم مخل يجعلنا مختلفين حتي في كثير مما اتفقنا حوله، وتدعونا هذه المسألة للحديث عن حياد الدولة وفرضية استحالته، ويتساءل كبار المنظرين في التعددية الثقافية أمثال باترك سافيدو عن حياد الدولة بقولهم: هل للحياد طبيعة تمكننا من تجاوز الالتزام بالخط السياسي للاعتراف، وتمكننا من تجنب مخاطر الطائفية؟ وهل يشكل الحياد الإثن- ثقافي- للدولة جواباً مقنعاً لتطلعات وحاجيات الأقليات الثقافية؟ يجيب معظم المنظرين سلباً على هذين السؤالين، ونلاحظ أن هذا يوازي بمعنى مَّا عودة النقد الموجه في البدء للتعدد الثقافي، ولا يعني هذا إذاً من وجهة النظر هذه التمسك بالتعدد الثقافي ضد اتهامات الطائفية، ولكن الأمر يتعلق بكل بساطة بتوضيح أن المجتمعات

الديمقراطية اللبرالية لا تحترم مبادئ الفردانية وذلك على الرغم من التصريح بها. إن المعاينة التجريبية لمختلف حالات الضعف التي تعتري مبدأ الحياد توضح أنه إذا كانت الدول الأمم اللبرالية قد تمسكت بمحاربة المجموعات التي تبحث عن فضاء شرعي وسياسي يمكنها من التعبير عن هوياتها الخاصة فهذا لم يمنعها من بناء كيان يحدد هويتها الثقافية الخاصة، وبمعنى آخر لا تطبق الدول الأمم اللبرالية على نفسها المبادئ التي تسخرها لمحاربة الأشكال الإثن–ثقافية والدينية(سافيدو،2011م، ص60) وفي تقديري فإن الاطلاع على مثل هذا الكلام يعد في غاية الأهمية، ذلك أنه يعكس أن التعددية الثقافية ليست أمراً مثالياً للدرجة التي لا تتعرض فيه للانتقاد، ويعكس أن هناك نمطاً معيناً من الثقافة العامة هو الذي يمكن أن يأخذ الأولوية، ليست أولوية تجعله فوق القانون ولا تمتعه بامتيازات دستورية، وهو الذي يضمن من بعد ذلك ممارسة التعددية الثقافية في إطارها القانوني والسياسي.

يقول باتريك سافيدو (2011، ص61): "نجد في فرنسا مثلاً أن جدول العطل يتضمن أياماً ترتبط بالديانة الكاثوليكية، ويقتضي مبدأ الحياد في هذه الحالة تعويض هذه الأيام بأيام محايدة أو أن نمنح الفرد أيام عطل لا ترتبط بحدث خاص بحيث يتصرف فيها كيف يشاء أن يتصرف، وإذا أردنا تأويل مبدأ الحياد باعتبارات تهم الجميع سنرى من باب الإنصاف إعادة توزيع جدول العطل بشكل يراعي الديانات الأساس الموجودة فوق التراب الفرنسي وإدماج عطل خاصة بها، وأثار اقتراح إدماج هذه العطل من قبل التقرير الذي أعد في ديسمبر 2003م حول العلمانية ردود فعل قوية تستند في حججها إلى الأهمية التاريخية لهذه العطل، ذلك أن هذه العطل الكاثوليكية تنتمي إلى النظام القديم، وتعكس مكتسبات اجتماعية تعود لزمن لم يعرف قانوناً اجتماعياً، ولذلك يكتسب الحفاظ على هذه العطل دلالة رمزية (سافيدو، 2011م، ص61)

وبغض النظر عن الاحتجاج بهذا المثال أو لا، فإنه يدفعنا للتعرف على حدود مبدأ الحياد وعلى واقعية مسألة الأغلبية واعتبارها في صناعة الثقافة العامة، وعلى العموم فهناك اتجاهان متعارضان في هذه القضية يدفع الأول في اتجاه تبني منطق الحياد، ويرى الآخر أن مبدأ الحياد التام يستحيل تطبيقه مبدئياً، ويرى هؤلاء أنه يستحيل دائماً إخفاء آثار الهيمنة الرمزية للأغلبية، بسبب التداخل الذي لا يمكن تحاشيه للثقافي والسياسي (سافيدو، 2011م، ص62).

ويؤكد باترك سافيدو على هذه الفرضية أي فرضية استحالة حياد الدولة تجاه الثقافات فيقول: "يمكن أن تؤدي معاينة استحالة الحياد إلى تبني موقف ليبرالي ذي طبيعة وطنية يفترض أن الدولة إذا أرادت ضمان الاستمرار والاستقرار الاجتماعي فلا ينبغي أن تختار الحياد علي المستوى الثقافي، وفي مقابل تبني مواطنة عالمية ينبغي إعادة التأكيد على مركزية الدولة (سافيدو،2011م، ص64)، وعلى كل حال فإن التعددية الثقافية اللبرالية تواجه تحديات في تلك الدول، تحديات برزت من خلال الممارسة والواقع السياسي والديمغرافي، ومن خلال الموازنة بين الحرية الفردية والانتماء للهوية المشتركة، ومن خلال الفوضى الأمنية التي بدأت تتفشى، ولا شك أن مثل هذه المعطيات التي تمثل تعقيدات في وجه التعددية الثقافية تختلف حدة ومرونة بين مجتمع وآخر، إلا أن المحصلة النهائية تقول أن التعددية الثقافية ما زالت في حاجة إلى مراقبة وتطوير من خلال الدراسات والبحوث لذلك الواقع، وما يدل على هذا قول باتريك سافيدو: "إذا كان هدف الدولة اللبرالية كما يقرر بذلك جوزيف راز يتمثل في منح المواطنين اختياراً رحباً للأشكال الممكنة للحياة، فيجب اعتبار أن الوطني يتصرف بطريقة غير عادلة من وجهة نظر لبرالية بما أنه يقلص فضاء الممكن الذي يؤدي إلى تقليص الحرية الفردية، وعلى هذا الأساس فبقدر ما يكون أداؤه فعالاً يكون تصرفه غير عادل، وبعكسنا للصورة إذا تخلت الوطنية عن هذا القيد وسعت دائماً إلى احتواء الأفراد، فستقبل بوجود هويات مختلفة من خلال دعم هوية عامة مشتركة مبنية على أساس تبني لغة رسمية وتاريخ مشترك واحترام القوانين، ويعتبر هذا النموذج أكثر عدالة من سابقه، ولكن هناك ما يجعلنا نراهن في المقابل على أنه سيكون دون شك أقل استقراراً منه، بالنظر إلى أنه سيكون - دون شك- من الصعب عليه الحيلولة دون

تسييس الهويات الثقافية، ومنع التشنج في العلاقة بين الهويات. وتصطدم اللبرالية إذاً أمام الاختبار الأول من المعضلة، فلتحسين أدائها وتطوير فعاليتها عليها تقوية درجة عدلها، وذلك باختصار حيثما وجدت طلبات الاعتراف المؤسساتي والسياسي بكثافة يظهر التعارض بين قومية قوية ولكنها غير عادلة، وقومية منفتحة ومعتدلة ولكنها غير فعالة، وتعتبر هذه من المشاكل التي يروم النموذج اللبرالي لإدماج التعدد الثقافي إيجاد أجوبة دقيقة لها (سافيدو،2011م، ص65-66)

نستطيع القول إننا أمام نظرية ما زال الجدل حولها كثيفاً لطبيعة موضوعها وتشعبه من خلال ارتباطه بالحقوق الفردية والجماعية، ودور الدولة تجاه الأقليات من المواطنين الأصليين الذين يمثلون أقليات وتجاه المهاجرين لتلك الدول، ولارتباطها كذلك بموضوع الثقافة وهو من أكثر المواضيع تعقيداً وتشابكاً، وإذا أخذنا في الاعتبار رسوخ التجربة الديمقراطية في المجتمعات اللبرالية والمحاولات الجادة لتلك الدول في عملية الإدماج الثقافي، فإننا سنوقن أن المهمة أمامنا شاقة ومعقدة، وتحتاج إلى نقاش جاد ومستمر يطرح الموضوع بخصوصية الواقع الذي تعيشه الدول العربية والإسلامية، ويراعي التكوين الثقافي لشعوب المنطقة، فإذا كان هذا في المجتمعات الغربية التي شهدت في تاريخ تكوينها صراعاً عنيفاً بين السلطة الدينية والمدنية والذي أنتج فصلاً وفصاماً بين ما هو ديني وما هو مدني، فإنه بلا شك يوجد المبرر القوي لمراعاة خصوصية المجتمعات الشرقية في تطبيق التعددية الثقافية، وعليه فليس بالضرورة أن نتحدث عن التعددية الثقافية بكل الخلفيات التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمعات الغربية، بل لا بد من مراعاة خصوصية البيئة التي تعيشها دول المنطقة، والتكوين العام فيها، وقد تكون المسألة أكثر تعقيداً مما هي عليه هناك، فما من دولة من الدول العربية والإسلامية اليوم إلا وتتجلى فيها الإثنيات العرقية والطائفية بصورة أكبر.

المبحث الثاني: البناء المفاهيمي للفكرة في النصوص الإسلامية

تتعدد الاتجاهات في تعريف السياسة، فبعضهم يقول: السياسة علم حكم الدول، وآخرون يقولون: السياسة علم حكم المجتمعات الإنسانية (حامد، 1995م، ص17) ' وإذا كان هذا التعريف يتحدث عن السياسة في الفكر الوضعي، فإننا معنيون هنا بالحديث عن علاقة السياسة بالدين، وهو ما اصطلح عليه في تراثنا الإسلامي السياسة الشرعية، والسياسة الشرعية هي علم يبحث فيه عما يدبر به من القوانين والنظم التي تتفق وأصول الإسلام، وإن لم يقم علي كل تدبير دليل خاص(القرشي، 1987م، ص51) وقيل: هي كل فعلٍ يكون معه الناس أقرب إلي الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلي الله عليه وسلم، ولا نزل به وحي (الجوزية، ط 1428هـ، ص29).

لقد اجتهد كثيرون في العصر الحديث كل حسب اتجاهه في إيجاد صلات بين كثير من النظريات السياسية الحديثة والإسلام، مصطحبين في ثنايا تفسيراتهم المصلحة من وجهة نظرهم، فبعضهم عبّر عن ذلك بالكتابة في الاشتراكية، وبعضهم بالديمقراطية، إلي غيرها من الاجتهادات، "وهكذا يجد الباحث المدقق في الأنظمة السياسية الإسلامية نفسه أمام مجموعة كبيرة جداً من التفسيرات للإسلام، أثناء اطلاعه علي البحث الإسلامي في مجال النظرية السياسية (أحمد، 1989م، ص23)، وبنظرة سريعة في تراثنا الإسلامي نلاحظ اختزالهم لكثير من قضايا السياسة في مسألة السلطة، مستعينين فقط بدليل الإجماع، وهذا بحد ذاته يعكس القصور الكبير في بحوث السياسة الشرعية، وعزلها عن المصدرين الأولين للتشريع الإسلامي، فعلى سبيل المثال يقول الجويني رحمه الله: "فنحن نقول : العلم يُتَلَقَّى من العقل والشرع، وأساليب العقول بمجموعها لا يجول في أصول الإمامة وفروعها ، والقواطع الشرعية ثلاثة: نصٌ من كتاب الله لا يتطرق إليه التأويل، وخبرٌ متواتر عن الرسول لا يعارض إمكان الزلل روايته ونقله، ولا يقابل الاحتمالات متنه

وأصله، وإجماع منعقد، فإذاً لا ينبغي أن يطلب مسائل الإمامة من أدلة العقل، بل يُعرض علي القواطع السمعية، ولا مطمع في وجدان نصٍ من كتاب الله في تفاصيل الإمامة، والخبر المتواتر مُعوز أيضاً، فآل مآل الطلب في تصحيح المذهب إلي الإجماع، فكل مقتضي ألفيناه معتضد بإجماع السابقين فهو مقطوع به، وكل ما لم يصادف فيه إجماعاً اعتقدناه واقعة من أحكام الشرع، وعرضناه علي مسالك الظنون (الجويني، 1997م، ص47)، فهذا النص يعكس بوضوح تأثير الواقع والصراع الفكري والحربي حول مسألة الإمامة علي مسألة الاستنباط للمبادئ السياسية من القرآن الكريم.

لقد تأثر هذا التنظير السياسي بشكل كبير بمذهب الشيعة في الإمامة، فانصبت الجهود للرد عليهم، ولعل هذا ما يفسر قلة التنظير السياسي مقارنة مع ما توسع فيه الأوائل رحمهم الله من دراسة أبواب الأحكام الأخرى، وليس غريباً بعد هذا ألا نجد في كتاب الجويني، غير أحد عشر آية من القرآن الكريم، بعضها بعيد الصلة بالقضايا السياسية، هذا على الرغم من حديث القرآن الكريم المستفيض عن الحكم وقضاياه والسياسة ومبادئها، والافاضة كذلك في ذكر قصص السابقين وتجاربهم السياسية، ثم إن الممارسة النبوية والراشدية حافلة بالتطبيق العملي لهذه المبادئ والقيم، فهي تقدم تجربة سياسية عملية قلّ أن يجد التاريخ لها مثيلاً .

إن ما يعنينا ويهمنا في هذه الفقرة هو البحث عن البناء المفاهيمي لفكرة التعددية الثقافية كما طرحناها من قبل، وهل يمكن أن نعبُر من النصوص الدينية إلى مقاربة فكرية لهذه القضية؟ وهل يمكن أن نتجاوز بذلك الحديث حصر أنفسنا في أدب الاختلاف كما جاء في الأدبيات التي اهتمت به؟ هذه الأسئلة تمثل تحديات واضحة أمام الباحثين في الشأن السياسي الإسلامي، لأننا لو تتبعنا مسيرة كثير من المؤلفات الجوهرية في تاريخنا الإسلامي والتي ما زالت تحظي بقدر كبير من التقدير والاحترام في أوساط المتدينين والمفكرين والباحثين، نلاحظ أن كثيراً منها جاء في سياق الاستجابة لمشكلات فكرية وسياسية واجتماعية كانت تمثل تحديا كبيراً في وقتها.

البناء المفاهيمي لفكرة التعددية الثقافية في الفكر الإسلامي:

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، والقرآن كتاب مقاصدي، ويمكن أن نقول إن قراءة القرآن الكريم بعيداً عن مقاصده قد تعد واحدة من الإشكالات الأساسية التي حالت دون القراءة المواكبة لبعض النوازل والمستجدات، ولا نختلف أن الوصول إلى المقاصد يتم عبر منهجية علمية منضبطة لا مجال فيها للتشهي والهوى، ولا مجال فيها للتلاعب بالمعاني على حساب الألفاظ، لكن تظل مقاصد القرآن الكريم ومقاصد الشريعة -التي لو تفحصناها جيداً لوجدنا أنها لا تخرج عن دائرة المقاصد القرآنية – تظل ركناً مهماً من أركان أصول التفسير وضبط المعاني، والمقاصد القرآنية منظومة واسعة تبدأ من تثبيت الاعتقاد الصحيح وتتنزل لتضمن أساسيات الحياة الكريمة للإنسان، وكل ذلك يتم عبر آليات منهجية مفصلة في مظانها، وفي موضوع بحثنا يمكننا أن نستشهد بقول ابن عاشور: "إن القرآن أنزله الله تعالي كتاباً لصلاح أمر الناس كافة، رحمة لتبليغهم مراد الله منهم. فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية. وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ويرعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران أو علم الاجتماع (ابن عاشور، ط 1984، ص38)، ومن غير أن نبحث عن مقاصد أخري تدعم الفكرة وليس من الصعب أن نعثر عليها، يمكننا أن نقول إن التعددية الثقافية في - فكرتها العامة- تندرج تحت المقاصد القرآنية، لأن التعددية ليست حكراً على فلسفة معينة، ولأنها لا تتعارض مع طرح الإسلام في احترام الخصوصيات، صحيح أنها نشأت في بيئة محددة وفي ظروف خاصة، لكن ذلك لا يمنع من تداولها وفق خصوصية مجتمعاتنا، لأنها في المحصلة النهائية نظرية سياسية، "تنشأ من تجربة العيش في مجتمع تعددي ومتسامح

فكرياً، له تكوين متنوع من الوجهة الثقافية والاجتماعية، يقوم على تكريم الناس وتقديرهم، واختيار حقهم في اختيار طريقة الحياة التي تناسبهم وتعبر عن هويتهم بما لا يخل بوحدة الجماعة وانسجامها، فالتعددية الثقافية ضمن هذا التصور تحيل إلى منظور فكري، وإلى آليات محددة للتعامل مع الواقع المجتمعي المتنوع، بما يسمح بالمشاركة في الشأن العام وصناعة القرار لصالح مختلف المكونات الثقافية الفرعية داخل الجماعة والاعتراف بإسهاماتها المميزة في المجتمع (الطويل، 2012، ص41).

وإذا حاولنا المقاربة عبر شيء من التفصيل للفقرة أعلاه، فإن تكريم الإنسان – من حيث هو إنسان – مقصد قرآني لا يحتمل التأويل، قال فيه القرآن الكريم: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ"، الإسراء:70،قال أبو السعود : "قاطبة تكريما شاملاً لبرّهم وفاجرهم، أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة (العمادي، ص186)، ثم إن القرآن الكريم يقرّ الاختلاف ويعتبره سنة كونية ماضية وسارية في المادي والمعنوي من الكون، وعلى الرغم من هذا الاعتراف بالتعدد والاختلاف إلا أن القرآن الكريم يدعو إلى الوحدة في إطار التنوع وينهى عن التفرق والتشرذم، ولذلك يمنح الإسلام الإنسان الحرية كاملة ويبني عليها التكليف ، ويأتي الإخبار القرآني بالمساواة بين الناس وتفرعهم من أصل واحد مؤسساً لقضية التعايش والتعارف في ظل الأخوة الإنسانية: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"، الحجرات :13، والقرآن أمر بالتعاون على البر والتقوى، ولا يتم ذلك إلا في إطار من التكامل التام والاعتراف بالآخر، "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" المائدة: 2، وكذلك يأمر القرآن الكريم بإقامة العدل والإحسان، وهما قيمتان أساسيتان تضمنان حقوق المواطنين على اختلاف اتجاهاتهم، "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"، النحل: 90.

إن المداخل الفكرية لقضية التعددية الثقافية في الإسلام خصبة وثرية وقد تتخطي في ذلك ما هي عليه في كثير من الفلسفات والأفكار، فالمشكلة تكمن في تعاملنا مع النصوص، وتجاهل الانفتاح العالمي في هذه الرسالة الخالدة، ولا نستطيع في هذه الورقة أن ندخل في تفصيل فقهي حول شكل الدولة في الإسلام، وكيفية تنزيل النصوص في القضايا التفصيلية فيما يتعلق بالسلطة التنفيذية والقضائية والتشريعية، كل ذلك له مكان آخر، ولكن سنستمر في تلمس أسس التعددية الثقافية ومرتكزاتها ومداخلها الفكرية، ونركز في ذلك علي القرآن الكريم مع التنبيه على أن السنة النبوية أيضاً تحمل ذخيرة وافرة في هذا الخصوص، ومن المرتكزات المهمة في الوصول إلى قضيتنا إعمال فقه المصلحة و المآلات الذي هو أصل معتبر في أصول الفقه، ويمكننا أن نأخذ من قصص القرآن مثالاً يعكس إمكانية الحوار للتعايش السلمي في كل القضايا السياسية وتحديداً محاولة التراضي على صيغة تكفل تطبيق التعددية الثقافية بما لا يتعارض مع الثوابت، فمثلاً في قصة موسي وهرون عليهما السلام إشارات جميلة لمحها ابن عاشور، وذلك في موضع القصة من سورة طه عند قوله تعالي: "وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) طه :90-94

قال ابن عاشور: واعتذر هرون عن بقائه بين القوم بقوله: (إني خشيت أن تقول فرقت) أي أن تظن ذلك بي فتقوله لوماً وتحميلاً لتبعة الفرقة التي ظن أنها واقعة لا محالة إذا أظهر هرون غضبه عليهم لأنه يستتبعه طائفة من الثابتين علي الإيمان، ويخالفهم الجمهور، فيقع انشقاق بين القوم، وربما اقتتلوا، فرأي من المصلحة أن يظهر لهم الرضي عن فعلهم ليهدأ الجمهور ويصبر المؤمنون اقتداء بهارون، ورأي في سلوك هذه السياسة تحقيقاً لقول موسي له: (وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، وهو الذي أشار إليه هنا بقوله: (ولم ترقب قولي) فهو من جملة حكاية قول موسي الذي قدره هرون في ظنه، وهذا اجتهاد منه في سياسة الأمة، إذ تعارضت عنده مصلحتان، مصلحة حفظ العقيدة ومصلحة حفظ الجامعة من الهرج وفي أثنائها

حفظ الأنفس والأموال والأخوة بين الأمة، فرجَّح الثانية، وإنما رجحها لأنه رآها أدوم، فإن مصلحة حفظ العقيدة يستدرك فواتها الوقتي برجوع موسي وإبطاله عبادة العجل حيث غيّوا عكوفهم علي العجل برجوع موسي، بخلاف مصلحة حفظ الأنفس والأموال واجتماع الكلمة إذا انثلمت عثر تداركها، وتضمن هذا قوله: (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي) .

هنا نلاحظ أن هرون عليه السلام يوازن بين أمرين: البقاء معهم وهم يعبدون العجل حتي يرجع موسي ويبطل ذلك، وإما أن يلحق بموسي ويتركهم وربما تقاتلوا وانفرط عقد نظامهم، وعلينا أن نتنبه إلي أن القصة ما سيقت في الأساس للموازنة بين العقيدة ووحدة الكلمة، فالعقيدة هي الأساس ومن خلالها يبني المجتمع وتصحح مسارات الأخوة الإنسانية من العصبية والجهوية والحزبية، ولذلك علق ابن عاشور في نهاية حديثه علي اجتهاد هرون عليه السلام بقوله: وكان اجتهاده ذلك مرجوحا لأن حفظ الأصل الأصيل للشريعة أهم من حفظ الأصول المتفرعة عليه، لأن مصلحة صلاح الاعتقاد هي أم المصالح التي بها صلاح الاجتماع (ابن عاشور، 1984، ص293) لكن يمكن أن نستشف من القصة أننا يمكن أن نتراضى على ثقافة عامة تضمن ممارسة تعددية ثقافية بخصوصية مجتمعاتنا.

إن آيات كثيرة في كتاب الله تنبه وتشدد على قضية وحدة الصف وجمع الكلمة، وحفظ الأمن والاستقرار، وإذا كان ما ذكره ابن عاشور يُلمح إلى درجة كبيرة ودقيقة من الموازنات، فإننا معنيون بالتنبيه إلى أن كثيراً من القضايا التي نتنازع حولها وربما نتقاتل هي في أدنى درجات الأولويات، إن فقه الموازنات والمآلات ليس فقهاً يُبنى على الهوى والتشهي ومداهنة الحكام وغيرهم من المتسلطين والمستبدين، ولا يقوم على تضييع الدين وحقائقه وثوابته وأصوله، ولا يبنى على مصالح شخصية وأعراض زائلة.

المبحث الثالث: التطبيق العملي للفكرة من خلال تجارب المسلمين

جاء الإسلام وبيئة العرب قبلية عشائرية لم تعرف سلطان الدولة بالمعنى الحديث، قبائل وجدت فيها الزعامات والقيادات والنظم والأعراف لكنها نظم بدائية، حيث كان احتكاك العرب بالعالم الخارجي ضعيفاً، وكانت خيارات الانتماء تكاد تنحصر في القبيلة " فالارتباط بالقبيلة مثل الجنسية بالنسبة للمواطن في العصر الحديث (عبدالكريم، 1997م، ص284)، هذا الانتماء القبلي الحاد تحول بفعل رسالة الإسلام الخالدة إلى انتماء آخر، انتماء للعقيدة والإيمان، يحمل في ثنياه انتماءات أخرى كثيرة لا تتعارض بطبيعتها مع هذا الانتماء الأساس، لأنها إنما تمثل أشياء فطرية كما تمثل آليات تُمكِّن من تحقيق أهداف الرسالة، فتصبح كلها معتبرة ومحترمة، وفيها مساحة واسعة للتحرك والتغيير والتطوير، بما لا يتعارض مع الثوابت، ومن ذلك الانتماء للقبيلة نفسه، أو الانتماء للجغرافيا – الوطن ، أو غيرها، وهنا يبدأ التساؤل المرتبط بموضوع البحث: هل برزت في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة إثنيات طائفية أو عرقية أو أقليات كان وضعها يحتاج لمراجعة ونظر وفق المتغيرات الآنية في ذلك الوقت؟ وهل كانت المعالجة إن وجدت شيئاً ثابتاً جامداً لا يقبل التغيير أو أنها مسألة خاضعة للظروف السياسية والاجتماعية وفق ثوابت محددة؟

لا نستطيع في هذه المساحة رسم خارطة شاملة لديمغرافيا الجزيرة العربية ولذلك سنحصر الحديث حول المدينة التي كانت تمثل حاضرة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وهي أول تجربة يحصل فيها تنظيم عام وتتوافر فيها مقومات كثيرة للدولة لم تكن متوفرة من قبل، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظم المجتمع ويحدد مهامه في الوثيقة المعروفة عند المؤرخين وأهل السير بصحيفة المدينة، التي جعلت المسلمين أمة واحدة من دون الناس، فدائرة الانتماء هنا للفكرة وليست للقبيلة ولا للعرق، ولكن لما كانت هذه الدائرة تتسع للجميع، ولا يمكن أن تقوم إلا على أرض وواقع بشري، أفردت الصحيفة جانباً منها لمعالجة أوضاع الجماعات التي تجمعها دوائر انتماء أخرى مع جماعة المؤمنين، وهو الانتماء لجغرافيا المدينة، فنصت الوثيقة على "أن القطاعات العربية المتهودة من قبائل ومن لحق بهم وعاهدوه قد أصبحوا جزءاً أصيلاً في الأمة الواحدة والرعية المتحدة لهذه الدولة الإسلامية (عمارة، 1989،ص14)، واحتوت الوثيقة على بنود كثيرة وحقوق وواجبات نظمت للمواطنين شؤونهم، فصارت مرجعاً قوياً ومحاولة متقدمة

لرعاية حقوق الأقليات وبيان مساحة الاجتهاد فيها، وهناك سياسات أخري سلكها القرآن الكريم والنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه لإدماج الجماعات الفرعية حسب طبيعة التكوين الثقافي والديمغرافي، فالقرآن الكريم كان يذم الثقافة – الأعرابية – ويعتبرها نمط حياة من الأفضل أن يتم فيه تغيير "ولا بد من التنبيه والتأكيد هنا أن القرآن الكريم بإطلاقه هذه الأحكام على الحالة الأعرابية كان يحكم عليها كنمط معيشي ينطبق على الأعراب وسواهم من الجماعات الرعوية في جميع الأمم، وأنه حكم ينطبق عليهم ما داموا في هذه الحالة فقط، وأن المسألة لا علاقة لها من قريب أو بعيد بعربية الأعراب. وذلك ما يدعونا إلى الاستنتاج بأن الإسلام يمكن أن يتخذ الموقف نفسه من أية حالة مجتمعية لا تنسجم مع جوهر تعاليمه سواء كانت بادية أو ريفاً متخلفاً أو مدينة منحلة بما يمكن أن يؤسس لسيسيولوجيا إسلامية لا تعارض فيها بين المفهوم الديني والمجتمعي (الانصاري، 1999م، ص101)، والمتتبع لتفاصيل هذه القضية يلحظ السياسة النبوية الواضحة في محاولة إدماج المهاجرين في مجتمع الأنصار، وإدماج الجماعات الوافدة في المجتمع المدني مع احتفاظهم بكثير من خصوصياتهم، مما يوحي بأن رعاية خصوصيات الثقافات حتى وإن كانت مخالفة تماماً يمكن أن يتم داخل إطار الثقافة الإسلامية.

إن مما يدلل على أهمية وفاعلية إدماج الثقافات الفرعية مع الاحتفاظ ببعض خصوصياتها وما يؤكد على حاجتنا لدراسة كثير من الظواهر الإنسانية في العالم الإسلامي وفي نصوص القرآن والسنة دراسة سوسيولوجية، تأكيدات بعض العلماء "أن الثقافات البعيدة عن تيار الحضارة المتدفقة لا تستطيع أن تؤسس روح المدنية، ولا بناء مناخاتها الصحية، كما أنها لا تستطيع أن تقدم الموارد التي تساعد أدمغتنا على إنتاج الفكر المنهجي والمنطق القويم، وذلك لأن مجرد العيش على هامش العصر كاف لجعل فهم ما يجري فيه محدوداً، كما يجعل الاستجابة لتحدياته والتفاعل معه أيضاً محدودة، وليس ذلك فحسب، بل إن الهامشية الثقافية تجعل من العسير فهم الماضي على ما كان عليه، وتدفع دفعاً إلى تأويله وفهمه بطريقة مشوهة، تجعله منسجماً ومتماشياً مع الكينونة الثقافية الحاضرة (بكار،2011م، ص62).

من العسير أن نتتبع تاريخ الإسلام منذ فترة النبي صلي الله عليه وسلم إلى يومنا هذا محاولين رصد ظاهرة التعددية الثقافية، ولا شك أن هذه الفترة الممتدة لأكثر من ألف عام حفلت بالعديد من التجارب، وذلك من خلال ما أتيح للدولة الإسلامية من بسط نفوذها على مساحات واسعة من العالم توفرت فيه لها معطيات خصبة من التنوع الثقافي، ولقد دُرست هذه المسألة عند كثيرين تحت عنوان التسامح الديني ولا مشاحة في المصطلح، فهي تدل على نوع من التجربة في إدارة التنوع الثقافي، لقد كانت النماذج المشرقة لهذه الممارسة نتيجة لطهارة أخلاقية ونبل إنساني تشرب روح الإسلام وتمثل مقاصده وحمل رسالته بكل أمانة وتجرد، "لقد كانت المساجد تجاور الكنائس في ظل حضارتنا الخالدة، وكان رجال الدين في الكنائس يعطون السلطة التامة على رعاياهم في كل شئونهم الدينية والكنسية، لا تتدخل الدولة في ذلك، بل إن الدولة كانت تتدخل في حل المشاكل الخلافية بين مذاهبهم وتنصف بعضهم من بعض (السباعي، 1990م ، ص136).

ويمكننا عرض مئات النماذج الرائعة في هذا المجال، ولكن مساحة وطبيعة البحث تجعلنا نركز على أن المسألة ظلت اجتهادية، فهي دائماً تندرج تحت سياسة الدولة تجاه رعاياها وفق تفكير منظريها وساستها، وهنا ينبغي التأكيد على أن مسألة التعددية الثقافية عمل سياسي قديم تم تطبيقه بدرجات متفاوتة متأثراً بالظروف الزمانية والمكانية منطلقا من فضاء الثقافة الإسلامية العامة، وسنتجاوز كل تلك الحقبة الزمنية مع التأكيد على حضور التعددية الثقافية فيها، لنصل إلى مرحلة الدولة القطرية في العالم العربي والإسلامي، ونتساءل مباشرة عن طبيعتها: أهي دولة مكيافلية – هوبزية؟ أم هي دولة العقد الاجتماعي التي

جاءت في فكر جون لوك؟ أم هي دولة قومية أم إسلامية؟ وما هي أولوياتها؟ هل هي المسألة الأمنية؟ أهي مسألة الحرية؟ وأين موقع التعددية الثقافية في أولوياتها؟

يناقش علماء الاجتماع والسياسة قضية الهوية باعتبارها مسألة حيوية في تكوين المجتمعات والدول، ويطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يُعرَف بها الفرد ويُعرّف، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة (ميكشيللي، 1993م، ص7)، فهل إذا أعلنت الدولة هويتها ما بين الخيارات المتاحة يؤثر ذلك على عملية الاندماج الثقافي وبالتحديد التعددية الثقافية؟ نحن معنيون بهذا السؤال في واقعنا العربي والإسلامي، لأن معظم هذه الدول أصبحت دول ذات سيادة خلال القرن العشرين، و"عند ولادة الدولة القطرية تنازعتها على الأقل ثلاث هويات متنافسة إن لم تكن متناقضة وهي: الهوية الوطنية، والهوية القومية والهوية الدينية، وكان من شأن كل اختيار ضمني أو صريح أن يحدث مشكلات داخلية أو إقليمية. ولكن واقع الحال هو أن الممارسة الوطنية القطرية هي التي سادت عملياً حتى في الحالات التي أعلنت فيها الدولة أن هويتها عربية أو إسلامية، أو عربية- إسلامية، وقد تحايلت معظم الدول القطرية على مسألة الهوية أو أجلت حسمها بالتلفيق اللفظي، أو بخلق منظمات غير قطرية للتعبير والتوفيق بين الهويات المتنافسة، مثل الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي (شيحة، 2006م، ص318).

وإذا بدأنا بالهوية الوطنية فسنواجه بتحديات مفهوم المواطنة بمعناه المعاصر وهو مفهوم لا ينفصل عن التركيبة الديمقراطية للدولة الحديثة، حيث يشير إلى العضوية الكاملة في الجماعة السياسية والشراكة في اتخاذ القرار عبر آليات متفق عليها. وقد شهد مفهوم المواطنة تطوراً مطرداً باتجاه توسيع قاعدته وتعميق معناه وزيادة الحقوق المترتبة عليه، فقد كانت البداية الصراع بين الملوك والنبلاء ومطالبة الآخرين بدور في اتخاذ القرار، ثم تفجر بعد ذلك الصراع بين الأرستقراطية والطبقة البرجوازية، وهو صراع كان من بعض مظاهره الثورة الإنجليزية (1688م) ثم الفرنسية (1789م)، ثم جاء بعد ذلك صراع الطبقة العاملة من أجل حقها في المشاركة العامة، فدور المرأة، وأخيراً الأقليات الدينية والعرقية (الافندي، 2006م، ص19)

ويلخص التطور الأخير لمفهوم المواطنة في عبارة الدكتور الأفندي تحديات الهوية القومية والدينية، وهما خياران لجأت إليهما بعض الدول العربية والإسلامية، فتبنى القوميون الهوية القومية، وتبنى الإسلاميون الهوية الدينية، ونتج من واقع الممارسة إقحام واستغلال لمكونات مجتمعية أخرى كالقبيلة والطائفة وغيرها مما هو مكون في الواقع العربي، لكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا كيف حاول القوميون تثبيت الهوية القومية، ولا كيف حاول الإسلاميون تثبيت الهوية الدينية، فقد كان الأمر متذبذباً بين المحاولات الانقلابية والعنف المسلح وإقصاء الآخر، وبين محاولة الممارسة الديمقراطية المتعثرة بفعل عوامل لعب فيها المكون الثقافي دوراً سلبياً كبيراً.

إن قضية التعددية الثقافية في العالم العربي والإسلامي ترتبط بالإصلاح السياسي الشامل والسعي نحو التراضي على تفاهمات تضمن تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية، والانفتاح على قطاعات اجتماعية أخري ولا سيما في البوادي والأرياف العربية ممن يعيشون على هامش المجرى الرئيسي للحياة السياسية في مجتمعاتهم القطرية، فنتيجة التلكؤ في نشر التعليم وغياب التنشئة السياسية والمدنية لهذه القطاعات تظل إطاراتها المرجعية ممعنة في ضيقها ومحليتها وولاءاتها التقليدية بعيداً عن الدولة القطرية، إن لم تكن متشككة في هذه الدولة أو معادية لها (شيحة، 2006، ص322)، وإذا كنا نتحدث عن التعددية الثقافية كنتيجة، فلا يمكن أن نهمل المقدمات لهذه النتيجة، وإن من أول المقدمات لذلك أن نعمل على تطوير الفكر والثقافة والوعي الفردي والجمعي عند الناس من خلال بسط التعليم الهادف المنطلق من وسطية الإسلام الحقة، والموصل للنهوض الحضاري والتقدم التقني، ومن خلال ذلك نستطيع أن نمضي في طريق التعايش.

إن حق الأقليات الدينية وكذلك الثقافية واللغوية في إقامة دينها والحفاظ على ثقافتها هو حق إلهي مقدس بحكم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد للخلق أن يكونوا وأن يظلوا مختلفين في الشرائع والملل والديانات والمناهج واللغات ومن ثم في الثقافات والقوميات، قال تعالي (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات الآية13 فلا يجوز للأغلبيات الدينية أو الثقافية أو اللغوية أن تنتقص من حرية الاعتقاد الديني وإقامة الشعائر الدينية والحفاظ على التمايزات اللغوية والثقافية لأية أقلية من الأقليات الدينية والثقافية (عمارة، 1998م، ص103).

وإذا كان الامر كذلك ومع استصحابنا لكل ما أوردناه في معنى التعددية الثقافية وبيئتها وعقبات التطبيق، واستصحاب أنها نظرية سياسية قابلة للتحوير، فإن فكرنا وموروثنا الثقافي مؤهل لإيجاد صيغة للتعددية الثقافية تتناسب مع واقعنا، "ونحن إذا لم نؤمن باحترام الفكر الإسلامي لإرادة الإنسان وإرادة الأمة في بناء نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية، وضعنا أنفسنا في صدام تام مع كل وقائع وحقائق تاريخنا الإسلامي وتشريعاته في هذه الميادين. فالإسلام يدعو المؤمنين به إلى تأسيس نظمهم الدنيوية بإرادتهم الحرة ووفق مصلحتهم الاجتماعية وفي إطار مبادئه العامة ووصاياه الكلية، كما يدعوهم إلى النظر في الحضارات المختلفة والاستفادة من كل التجارب الإنسانية (عمارة، 1998م، ص58).

الخـاتـمـة:

تنشأ التعددية الثقافية من تجربة العيش في مجتمع تعددي ومتسامح فكرياً، له تكوين متنوع من الوجهة الثقافية والاجتماعية، يقوم على تكريم الناس وتقديرهم، واختيار حقهم في اختيار طريقة الحياة التي تناسبهم وتعبر عن هويتهم بما لا يخل بوحدة الجماعة وانسجامها، فالتعددية الثقافية ضمن هذا التصور تحيل إلى منظور فكري، وإلى آليات محددة للتعامل مع الواقع المجتمعي المتنوع، بما يسمح بالمشاركة في الشأن العام وصناعة القرار لصالح مختلف المكونات الثقافية الفرعية داخل الجماعة والاعتراف بإسهاماتها المميزة في المجتمع.

وارتبطت نشأة التعددية الثقافية بقضية المواطنة في المفهوم الغربي، الذي شهد تطوراً مطرداً باتجاه توسيع قاعدته وتعميق معناه وزيادة الحقوق المترتبة عليه، فقد كانت البداية الصراع بين الملوك والنبلاء ومطالبة الآخرين بدور في اتخاذ القرار، ثم تفجر بعد ذلك الصراع بين الأرستقراطية والطبقة البرجوازية، وهو صراع كان من بعض مظاهره الثورة الإنجليزية (1688م) ثم الفرنسية (1789م)، ثم جاء بعد ذلك صراع الطبقة العاملة من أجل حقها في المشاركة العامة، فدور المرأة، وأخيراً الأقليات الدينية والعرقية.

حاولت في هذه الورقة دراسة قضية التعددية الثقافية بين أيديولوجيا الدين والتنظير السياسي عبر تقريب معنى التعددية الثقافية من خلال دراسة إشكالية المصطلح، ثم انتقلت لعرض البناء المفاهيمي للفكرة في نصوص الدين، ثم عرضت بطريقة موجزة، تجارب المسلمين في تطبيق الفكرة مع التركيز على التحديات التي تواجه الدولة القطرية في العصر الحالي.

خلصت الورقة إلى أن التعددية الثقافية نظرية سياسية لم يتم الاتفاق عليها كمصطلح محدد المعالم، وما دام أنها نظرية سياسية فيمكن النظر في الإفادة منها وفق موجهات الفكر الإسلامي الذي لا تتعارض ثوابته مع الفكرة العامة لها، وكذلك أبرزت الورقة التحديات الكبيرة التي تواجهها الدولة القطرية –عربية وإسلامية – وإشكالات الهوية والمواطنة، وكيف يمكن الوصول إلى صيغة سياسية قد تكون التعددية الثقافية واحدة من أهم آلياتها.

المصادر والمراجع:

القران الكريم

ابن منظور، احمد (1968). لسان العرب. دار صادر: بيروت.

احمد، منظور الدين (1989). النظريات السياسية الإسلامية في العصر الحديث. جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ط1.

الافندى، عبد الوهاب (2006). الإسلاميون في الواقع السياسي العربي. في: شقير، شفيق واخرون- محرر (2006). شبكة الجزيرة، قطر.

الانصاري، محمد جابر (1999). التأزم السياسي عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام. دار الشروق، القاهرة، ط2.

الثعالبي، عبد الرحمن (1997). الجواهر الحسان في تفسير القرآن. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

الجوزية، ابن القيم (2016). الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، السعودية.

الجويني، ابوالمعالي (1997). غياث الأمم في إلتياث الظلم. دار الدعوة للطباعة والنشر، الاسكندرية.

السباعي، مصطفي (1990). من روائع حضارتنا. دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط1

الطويل، عبد السلام (2012). الأمة والجماعات الفرعية تعددية في كنف الوحدة. قراءة في كتاب التعددية الثقافية لباتريك سافيدو، مجلة الإحياء، العدد 36.

القرشي، باقر الشريف (1987). النظام السياسي في الإسلام. دار التعارف بيروت، ط4.

الزبيدي، مرتضي (1972). تاج العروس. مطبعة حكومة الكويت.

بكار، عبد الكريم (2011). من أجل انطلاقة حضارية. دار القلم دمشق: ط4.

بن عاشور، محمد الطاهر (1984). تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية.

حامد، التجانى عبد القادر (1995). أصول الفكر السياسي في القرآن المكي. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

حلمى وعبد المنعم، فؤاد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ابو السعود محمد بن محمد العمادي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

راتساني، علي (2013). التعددية الثقافية مقدمة قصيرة جداً. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: ط1.

سافيدان، باتريك (2011). الدولة والتعدد الثقافي. ترجمة المصطفي حسنوي: دار توبقال للنشر: المغرب: ط1.

شيحة، ميشيل (2006). إشكالية الدولة القُطرية المعاصرة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد 22 (العدد الاول).

عبد الكريم، خليل (1997). قريش من القبلية إلى الدولة المركزية، سيناء للنشر: مصر: ط2.

عمارة، محمد (1998). الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق. دار نهضة مصر، القاهرة: ط1.

عمارة، محمد (1998). الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية. دار الشروق: القاهرة: ط1.

عمارة، محمد (2003). الإسلام والأقليات الماضي الحاضر والمستقبل. مكتبة الشروق الدولية، ط1..

كمليكا، ويل (2011). أوديسا التعددية الثقافية، ترجمة إمام عبد الفتاح: عالم المعرفة ج1.

كوش، دنيس (1997). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. ترجمة منير السعداني: مركز دراسات الوحدة العربية: ط1.

مجيد، حسام الدين علي (2010). إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر جدلية الاندماج والتنوع. مجلة المستقبل العربي: العدد 378، مركز دراسات الوحدة العربية.

محفوظ، محمد. نظرات حول الوحدة والتعدد. مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد 26.

ميكسيللي، الكس (1993). الهوية. ترجمة علي وطفة: دار النشر الفرنسية: ط1.

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

العامل عند النحويين أنواعه والمآخذ عليه- دراسة وصفية تحليلية

عماد الدين محمد أحمد شوشه

قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإسلامية والعربية ـــ جامعة وادي النيل

المؤلف: **shoshaemad66@gmail.com**

المستخلص:

يتناول هذا البحث قضية شغلت بال النحويين القدامى والمحدثين، وهي قضية العامل، إذ كانت محل نظر بينهم وخلاف، فمن النحاة من أثبتها ورأى أنها قرينة تهدي إلى الحركة المطلوبة كـابن جني، وهناك من أنكرها ورفضها كـابن مضاء القرطبي. اتضح للباحث أن فكرة العامل نشأت نشأة يسيرة في النحو العربي، وأنها قديمة قدم النحو، وأن الدافع لها هو العلل الإعرابية، وتوضيح معنى الكلام، وأنها نبتت ونمت في بيئة عربية حتى استوت على سوقها، فقد نشأت لخدمة القرآن الكريم ضبطاً وفهماً، ومن هنا تكمن أهميتها كما أنها تنهض بعبء مهم في تيسير تعليم اللغة العربية، وضبط علامة الإعراب فيها، وذلك لأن العامل قرينة تهدي المتكلم إلى العلامة الإعرابية المطلوبة والضبط الصحيح. أجمع النحاةُ العرب على أن العوامل نوعان: لفظية ومعنوية، إلا أنهم اختلفوا في حقيقته. عمل البصريون على تقديم عمل العامل والقياس المنطقي على منطق اللغة ونظامها مهما كلفهم ذلك من تأويلات وتخريجات قد تكون قريبة المأخذ حيناً وبعيدة المأخذ حيناً آخر، ومهما تطلب الأمر من تأويل وتقدير، وحذف لفصيح اللغة وطرحه أحياناً، والحكم عليه بالشذوذ إذا لم يقبل التأويل والتخريج، بينما ذهب الكوفيون مذهبا فيه الكثير من احترام النصوص العربية دون الحاجة إلي تأويل أو تخريج، فهم في نظرتهم للعامل يأخذون الواقع اللغوي أساساً لبناء القاعدة كما أن آراءهم وعللهم قدتكون مقبولة أحياناً عِدة، وما ذاك إلا لاحترامهم المعنى المقصود في الكلام. أُخِذَ على العامل النحوي بعض المآخذ منها تأثره بالمنطق اليوناني، ولا سيما عند نحاة القرنين الثالث والرابع، الذين فيما يبدو قد تأثروا به نوعاً ما كما عند المبرد، الذي كان تأثره به طفيفاً، ومهما يكن فقد بدأت نظرية العامل يسيرة صافية على يد البصريين، إذ كان الغرض منها حفظ القرآن الكريم من اللحن وتفسير العلامات الإعرابية، كما أنه من العدل والإنصاف التأكيد على أن علماءنا الأجلاء الأوائل قد بذلوا جهودا جبارة في خدمة لغتنا العربية واستنباط قواعدها، يدفعهم إلي ذلك حرصهم على صيانة القرآن الكريم من اللحن والتحريف.

كلمات مفتاحيه: العامل النحوي، العلل الاعرابية، تفسير العلامات الاعرابية.

Agent Among Arab Nahawists, Its Types and Faults, A descriptive Analytical Study

Imad Eldin Mohamed Ahmed Shousha

Faculty of Islamic and Arabic Sciences, Nile valley University, Sudan

ABSTRACT:

This research deals with an issue that minded old traditional grammarians and scholars. It is the agent in Arabic language which represents a debatable issue among them. Some of them evidenced that it could act as an item that affect sound movement such as Ibn Jinni. Others denied it such as Qurtubi. It became clear that as the researcher found out, the agent has familiarly grown up in Arabic language Nahu, and is classically well connected with Eraab Odds. This is due to the fact that the agent is a meaning speech indicator and helps in making easy the learning process of Arabic language. Through indication of Eraab makers. Arab agreed upon the two types of agents; verbal and moral. Basrians introduced the agent function and did the logical model in accordance with language logic and system. Koofians on the other hand considered the linguistic reality as a fundamental base for modeling, as the consider meaning rather than form. One of the faults with the agent in the Arabic language is its influenced with Greek logic, especially in the third and the fourth centuries grammarians, but that influence was on the purpose of keeping safe the Holy Quran away from being wrongly memorized, read or deviated.

Keywords: Eraab markers, eraab odds, nahawi agent.

مقدمة:

جاء النحو لضبط الكلام العربي، وحمايته من الزلل والخطأ واللحن، خاصة بعد دخول غير العرب الإسلام؛ فحاول النحاة وضع قواعد وأسس صارمة له، وذلك انطلاقاً من القرآن الكريم، واستناداً إلى ألسنة العرب الفصحاء، خاصة الأعراب منهم، وقد جعلوا هذه القواعد مقياساً ومعياراً للحُكم على سلامة التراكيب العربية.

إنّ النحو العربي، بشكل عام، يتصل بنظرية العامل، التي يراها علماء العربية من أهم خصائص العربية، بل إن نظرية العامل عندهم هي النحوَ كله، أليس النَّحو هو الإعراب، والإعراب أثر العامل؟ (الإعراب أثرٌ يَجلبه العامل، فكلُّ حركة من حركاته، وكل علامة من علامته، إنما تجيء تبعًا لعامل في الجملة) فلم يبقَ إذاً للنحو إلا أن يتتبع هذه العوامل، يَستقرأها ويُبين مواضع عملها، وشرط هذا العمل؛ فذلك النحو كله.

يرجع الاهتمام بالعامل النحوي إلى أن العقل البشري اعتاد ألا يقبل شيئاً من دون سبب وأن يتأمل في كل أمر ويبحث عن مُوجده أو مسببه، وذلك ما كان شائعاً في الفلسفة الأرسطية، إذا لا وجود لسبب من دون مسبب، ولكل حادث مُحدِث، وبذلك لم تقبل العقول العربية أوضاع الأحكام النحوية من رفع وخفض ونصب وجزم دون مبرر لها لذلك، فما الذي يحكم أن يكون الفاعل مرفوعا، والمفعول منصوبا، ولمَ لا يكون الفاعل منصوبا مثلا، فلماذا الرفع بالتحديد؟ وهذه الأسئلة لم يغفل عنها علماء العربية وإنما بنوها أثناء عملهم في تقعيد القواعد وانطلقوا منها لتأسيس مادتهم النحوية، ونشأ من ذلك ما يسمى بالعامل.

يهدف هذا البحث إلى التأكيد على أهمية العامل في النحو العربي، الذي هو أصل من أصوله المهمة، إذ هو واحد من تلكم الخصائص التي تتميز به لغة الضاد من بين اللغات جميعها، ومِن ثَم يقر بعدم تأثر النحو العربي منذ نشأته وحتى استواء سوقه واكتمال بنيانه بالتأثيرات الأجنبية، كما يهدف إلى إبراز الجهود الكبيرة التي قام بها علماؤنا الأجلاء في وضع الأسس والأركان التي ارتكز عليها نحونا العربي، مع الإشارة إلى المآخذ التي تعيب نظرية العامل حرصاً على تجليتها من شوائب النقص.

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، ثم ذيلته بالخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

اشتمل البحث على خمسة مباحث: الأول: العامل في اللغة والاصطلاح، والثاني: أنواع العوامل، والثالث: العامل عند البصريين، والرابع: العامل عند الكوفيين، والخامس: ما يؤخذ على نظرية العامل.

المبحث الأول: العامل في اللغة والاصطلاح

إن معرفةَ مفهوم العامل لا تتأتى لنا إلا عبر المرور بمادته: "ع م ل"، وهذه الطريقة ليست مجرد تتبع وتقليد لمناهج آبائنا وأجدادنا القدماء، وإنما هي الممرُّ المنهجي الذي يُفضي إلى رؤية واضحة وشاملة للمصطلح المعرَّف.

العامل في اللغة: جاء في معجم لسان العرب: (عَمِلَ يَعْمَلُ، عَمَلًا، وفاعلها عَامِلٌ، والعامل هو الذي يتولى أمور الرجل في ملكه وعمله وماله). (ابن منظور، 1968). والعمل هو الفعل المؤدَّى باليد، وهو المِهنة، أو أجرة العامل، على هذا النحو ذهبَتْ جلُّ المعاجم العربية، وعرفه ابن دريد بقوله: (العمل مصدر عمل يعمل عملاً، فالفاعل عامل، والمفعول معمول) (الزبيدي، 1984، ص 473/3)، وعند ابن سيده (العمل المهنة، والجمع أعمال، عمل عملاً، وأعمله واستعمله واعتمل: عمل بنفسه، وقيل العمل لغيره، والاعتمال بنفسه وأعمل رأيه آلته ولسانه، واستعمله عمل به، ورجل عمل: ذو عمل، والعَمَلة: القوم يعملون بأيديهم. (ابن سيدة، ص 106/3) وقد زاد الزبيدي في تاريخ العروس (أن العمل حركة البدن بكله أو بعضه، وربما أطلق على حركة النفس فهو إحداث أمر قولاً أو فعلاً بالجارحة (الزبيدي، ص 473/3).

وقد اكتسبَتْ هذه الكلمةُ صبغة دينية؛ يقول الله عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ (التوبة:60)، والعامل هنا يراد به القائمُ على جمع الزكاة (الاصفهاني، ص125).

ومِن جانب آخر نجد ثلة من علمائنا على رأسهم العلَّامة "الراغب الأصفهاني" يميزون بين مادتي عمل وفعل، فيرى أن العملَ يكون عن وعيٍ وقصد، ويُنسَب إلى الإنسان؛ لكونه ذاتًا عاقلة، في حين أن الفعلَ يُرَدُّ إلى الجمادات والحيوانات؛ لأنه يكون بدون قصد، ولا تعقُّل.

العامل في الاصطلاح: لا أعتقد أن في النحو العربي موضوعًا يداني موضوع العامل في تعقيده واضطراب مفاهيمه؛ فمِن الصعب بمكان حسَب تصوُّر النحاة، تقديم تعريف شامل ومانع لهذا المفهوم، ويُعزَى الأمر إلى تضارب الآراء مِن مدرسة نحوية إلى أخرى، وقد يصل التعقيدُ إلى تباين موقف النَّحوي الواحد، خاصة فيما يتعلق بالموازنة بين شقي التنظير والتطبيق، كما أنه لا نجد في كتاب سيبويه ولا في الكتب التي تلته كالمقتضب والأصول، تعريفًا دقيقًا للعامل؛ إلا أن صاحب كتاب "الجمل في النحو عرفه بقوله": بأنه هو كل ما رفع أو نصب أو جر)، (الجرجاني، 1997، ص 12)، كما عُرف في "شرح الكافية": ما به يتقوم المعنى المقتضي للإعراب (الاسترابادي، 1998، ص16/1)

يقول الصبان فيما نقله الأشموني من التسهيل: إن الإعراب ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف). (الاشموني، 1970، ص26/1)، لكن الصبان سرعان ما تنبّه إلى أن ما ذكره لا يطرد، فاستدرك قائلا: لكن هذا التعريف يقتضي اطراد وجود الثلاثة، أعني المقتضي، والإعراب، والعامل مع كل معرب، وليس كذلك، بل هو أغلبي فقط لعدم تحقق المقتضي نحو: لم يضرب زيد، فلم يتقوم "لم" معنى يقتضي الجزم (الاشموني، 1970، ص48/1).

من خلال ما سبق يمكن القول: إن العامل، وهو ما يجعل الكلمة مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة، أو ما يكون الإعراب أثراً له، بل له دور في المعنى.

كما يتضح للمتأمل في أمهات كتب النحو أن فكرة العامل نشأت نشأة يسيرة في النحو العربي، وأنها قديمة قدم النحو، وأن الدافع لها ــ فيما يبدو ــ هو العلل الإعرابية، وتوضيح معنى الكلام، التي كانت تلاحظ وتتم في سهولة وعفوية، ذلك لأن العرب في لغتها كانت تسلك منهج الطبع، ثم جاء النحاة فحاولوا إيجاد العلل لتوارد الحركات المختلفة على أواخر الكلم، وتغيرها باختلاف مواقعه الإعرابية، فسموا ما يُحدث التغيير (عاملاً) وما يتأثر به (معمولاً) ثم توسع النحاة المتأخرون في فكرة العامل توسعاً ذهب بها إلى حد المغالاة وذلك للتأثر بعلوم الفلسفة والمنطق والكلام.

والحق أن القول بتأثر النحو العربي بالمنطق الأرسطي على إطلاقه فيه شيء من التعسف، حيث إنه ينبغي أن نميز بين مرحلتين: مرحلة النشأة، ومرحلة ما بعد النشأة، فمرحلة النشأة هي التي تأسس فيها النحو العربي، وتمتد خلال القرنين الأول والثاني الهجريين.

والباحث يرى أن النحو العربي قد نبت ونما في بيئة عربية حتى استوى على سوقه، فقد نشأ لخدمة القرآن الكريم ضبطاً وفهماً، وفي هذا يقول أبو الطيب اللغوي: سمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً يقرأ (أنَّ اللهَ بريءٌ منَ المشركينَ ورسولِهِ). (التوبه اية 3) بكسر اللام فقال: لا أظن يسعني إلا أن أضع شيئاً أصلح به نحو هذا، أو كلام هذا معناه، فوضع النحو (اللغوي، 1970، ص26)، والذين يزعمون أن النحو قد تأثر بالمنطق اليوناني يرون أن هذا التأثير تم في العصر العباسي، عندما أصبحت بغداد مركزاً للثقافة العربية.

المبحث الثاني: أنواع العوامل

جعل النحاة لنظرية العامل ثلاثة أركان هي: العامل، والمعمول، وما يحدثه العامل من أثر إعرابي ويسمى بالحركة المتغيرة لفظاً أو تقديراً.

أولا: العامل، عرفه الرماني بقوله: (عامل الإعراب هو موجب لتغير الكلمة على طريق المعاقبة لاختلاف المعنى)، (الرُّمانيّ، ص29)، (وهو ما يحدث تغييراً في الحركات فيحدث الرفع أو النصب أو الجزم أو الخفض، وقد يكون العامل فعلاً أو شبهه أو حرفاً عاملاً، وفي الإعراب يقول: وهو مذهبان: أحدهما: أنه لفظي وهو اختيار ابن مالك، ونسبه إلي المحققين، وحده في التسهيل بقوله: ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف. والثاني: معنوي، والحركات إنما هي دلائل عليه، هو ظاهر قول سيبويه، واختاره الأعلم وكثير من المتأخرين، وحدوه بقولهم: تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً وتقديراً (السيوطي،1985، ص1/173)، وهو ينقسم إلى نوعين:

1. اللفظي: وهو ما يعرف بالجنان أي بالقلب ويتلفظ به اللسان كـ: من وإلى، في قولك: سرت من البصرة إلى الكوفة، فإن: من، وإلى، عاملان لفظيان يعرفان بالقلب ويتلفظان باللسان، وكذا "إن" في قولك: "إنَّ زيداً قائمٌ"، فـ"إنَّ": عامل لفظي يعرف بالقلب ويتلفظ باللسان (الجرجاني، 1985، ص85).

والعوامل اللفظية هي الأصل في العربية، فالجرجاني يرى: أن الأفعال هي الأصل في العمل لذا بدأ بها، وأكد أنها تعمل الرفع والنصب في الأسماء، وقال: "فكل فعل يرفع اسماً واحداً بأنه فاعله إذا أسند إليه مقدماً عليه، فإن لم يكن ظاهراً فمضمر. (الجرجاني، 1997، ص13)، وأشار السهيلي إلي وجوب أن يكون الحرف عاملاً في كل ما دل على معنى فيه، لأنه يرى أن الألفاظ تابعة للمعاني، كما يثبت الحرف بما دخل عليه معنى، وجب أن يثبت به لفظاً، وذلك هو العمل، ويرى أن الفعل لا يعمل في الحقيقة إلا فيما يدل عليه لفظه كالمصدر والفاعل والمفعول (السهيلي، 1992، ص11).

خالف ابن مضاء القرطبي النحاة لأنه جعل العوامل اللفظية أصواتاً من فعل الله وقال: "إنما انتسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية" (ابن مضاء 1949، ص86).

قسم الجرجاني العوامل اللفظية إلى قسمين: سماعية وقياسية، فالعوامل اللفظية السماعية، هي: ما سمعت عن العرب ولا يقاس عليها غيرها كحروف الجر، والحروف المشبهة بالفعل، فإن الباء وأخواتها تجر الاسم فليس لك أن تتجاوزها وتقيس عليها غيرها. وهي واحد وتسعون عاملاً، تحت ثلاثة عشر نوعاً، هي: حروف تجر الاسم فقط، الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر، حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر، حروف تنصب الاسم المفرد فقط، حروف تنصب الفعل المضارع، حروف تجزم الفعل المضارع، أسماء تجزم الأفعال على معنى "إن" للشرط والجزاء، أسماء تنصب أسماء نكرة على التمييز، كلمات تسمى أسماء أفعال، الأفعال الناقصة التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، أفعال المقاربة، أفعال المدح والذم، أفعال الشك واليقين وتسمى أفعال القلوب (الجرجاني 1985، ص87).

والعوامل اللفظية القياسية هي: ما سمعت عن العرب ويقاس عليها، وتفسير هذا المعنى أنه سمع لها أمثلة مطردة وصلت إلى بناء قاعدة كلية في ذلك النوع من العوامل، فكل ما يصدق عليه تلك القاعدة يطلق عليه اسم العامل اللفظي القياسي (الجرجاني، 1985، ص 85).

أما العوامل اللفظية القياسية فهي سبعة: الفعل على الإطلاق، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، المصدر، الاسم المضاف، الاسم التام (وهو الاسم النكرة المنصوب المفسر لما أبهم من الذوات نحو: عشرون درهما، ومنوان سمنا) (الجرجاني 1985، ص383).

2. المعنوي: وهو الذي لا يظهر في الجملة ولكن أثره وهو الإعراب المنتظم يظهر في الجملة، فرفع المبتدأ أثر لعامل معنوي لا يظهر، وكذلك رفع الفعل المضارع أثر لعامل معنوي لا يظهر في الكلام، ويقال التجرد من الناصب والجازم، وعند الكوفيين يسمى عامل الخلاف وهو كذلك ما يعرف بالجنان ولا يتلفظ باللسان (ابن الانباري، 2007 ص1/34).

ذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى القول بالعامل المعنوي في موضعين (ابن الانباري، 1975، ص66):

أ. الابتداء. ب. وقوع الفعل المضارع موقع الاسم.

ثانيا: المعمول، وهو المتأثر أو المتغير بالعامل اللفظي أو المعنوي، ويكون المعمول مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو مجزوماً.

فالمرفوع: (كلمة عمل فيها عامل الرفع) (الرُّماني، ص139)

والمنصوب: (كلمة عمل فيها عامل النصب) (الرُّماني، ص39)

والمجرور: (كلمة عمل فيها عامل الجر) (الرُّماني،39)

والمجزوم: كل فعل مضارع اقتطعت منه حرف العلة أو حذفت حركة الصحيح من آخره. (ابن جني، 1985، ص45)

ثالثا: الحركـــة الإعرابيـــة (أثر العامل)

يؤثر العامل في معموله فيغير حركته، والتغيير (تصيير الشيء على خلاف ما كان بانقلابه عما كان عليه)، (الرماني، ص38)، أي تسمى هذه ظاهرة التصرف الإعرابي أو بالإعراب. والإعراب (تغيير آخر الاسم بعامل)، (الرماني، ص38). وكون الإعراب داخل في الإبانة عن المعاني هو قول جميع النحويين إلا قطرباً. (الزجاجي، 1990، ص 69،70)، وقال الزمخشري في وجه إعراب الاسم: (هي الرفع والنصب والجر، وكل واحد منها علم على معنى، فقد أكد أن الرفع علم الفاعلية، والنصب علم المفعولية، والجر علم الإضافة) (الزمخشري، 1985، ص1/50).

ذكر ابن الخشاب أن الإعراب يحدث عن عامل وحده، وأنه (تغيير يلحق آخر الكلمة المعربة بحركة أو سكون لفظاً بغير العوامل في أولها). (ابن الخشاب، 1987، ص 34).

وأكد السيوطي أن قولهم: (الحركات أنواع: صاعد عال، ومنحدر سافل، ومتوسط بينهما، فإنه مأخوذ من صناعة الموسيقى) (السيوطي، 1976، ص94، 95).

إن كل علامة من علامات الإعراب سواء أكانت ضمة أو فتحة أو كسرة أو سكوناً أو حروفاً بدلها، كالواو والياء والألف، فإنها أثر للعامل (الجرجاني،1985، ص10)، فإن كان مذكوراً في التركيب اللغوي فهو عامل لفظي، وإلّا فهو عامل معنوي كعامل الابتداء عند البصريين، وعوامل الخلاف عند مخالفيهم، وقد أكد النحاة المتقدمون والمتأخرون أن هذه الحركات (تبين الفاعل من المفعول وتفرق بين المعاني) (العكبري،1995، ص2/11).

حقيقـــة العامل:

اختلف النحويون في حقيقة العامل على ثلاثة مذاهب:

1. ذهب أكثر النحويين إلى أن العامل هو الكلمات أو المعاني، فالكلمة نفسها تحمل بين طياتها قدرة على التأثير في كلمة أخرى، أو عدة كلمات، فتحدث فيها الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم، فإذا قلت مثلاً: (ذهب زيد) فإن (ذهب) نفسها هي التي أحدثت الرفع في (زيد)، وهي التي اجتلبت العلامة الإعرابية فيها وهي الضمة. وأحياناً لا يكون العامل كلمة من الكلمات، بل معنى من المعاني، يدرك بالقلب ولا ينطق به،

فالمعنى عندهم له قدرة أيضا على إيجاد الحالة الإعرابية والعلامة الدالة عليها، كما هو الشأن مثلا في الابتداء الذي يرفع المبتدأ، فإذا قلت مثلاً: (المؤمن صادق)، فإن الابتداء هو الذي رفع كلمة (المؤمن) وهو الذي اجتلب العلامة الإعرابية فيها، وهي الضمة، وهذا هو المفهوم البصري الشائع في كتب النحو.

2. وذهب أبو الفتح عثمان بن جني إلي أن العامل هو المتكلم، فقال: وإذا قلت: ضربَ سعيدٌ جعفراً، فإن (ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئا، وهل تحصل من قولك (ضرب) إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل، فهذا هو الصوت، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل. وإنما قال النحويون: عامل لفظي وعامل معنوي، ليروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كـمررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر، وعليه صفحة القول، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه، لا شيء غيره، وإنما قالوا: لفظيٌّ ومعنويّ لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ وهذا واضح. (ابن جني، 2006، ص110،1/109).

في هذا النص يريد ابن جني أن يكشف النقاب عن طبيعة العامل، فالكلمة ليست لها قدرة على التأثير في غيرها من الكلمات، وإحداث العمل الإعرابي، لأنها عبارة عن أصوات، والأصوات لا تعمل بل إن المتكلم بكلام العرب هو الذي يحدث هذا العمل، فيرفع وينصب ويجر ويجزم، كذلك يبين ابن جني أن العوامل عند النحاة هي قرينة تهدي إلى الحركة المطلوبة.

3. وذهب ابن مضاء القرطبي إلى أن العامل الذي يحدث حركات الإعراب إنما هو المتكلم نفسه، وقبل أن يدلي برأيه هذا ذكر ما يراه سيبويه في حركات الإعراب، وهو أن هذه الحركات ناجمة عن العوامل، وعقب ابن مضاء على ذلك بقوله: (وذلك بين الفساد). (ابن مضاء1947، ص77،1/77).

ويلاحظ أن ابن مضاء القرطبي يتفق مع أصحاب المذهب الثاني في أن العامل هو المتكلم، ولكنه يختلف عنهم في التطبيق، فهم يعتمدون العوامل في مباحثهم على حين يرفضها هو.

المبحث الثالث: العامل عند البصريين ومن تابعهم:

تناول علماء النحو نظرية العامل وأفردوا لها مصنفات عدة وسأحاول في هذا المبحث ــ إن شاء الله ــ التطرق لهذه النظرية عند قدامى النحاة وخاصة عند البصريين، إذ لهم مصنفات كثيرة من مثل: كتاب العوامل للخليل بن أحمد الفراهيدي (القفطي،1981، ص2/75). حدود العوامل في الأفعال واختلاف معانيها لأبي طالب النحوي المكفوف، العوامل في النحو، لأبي علي الفارس (القفطي، 1981، ص2/118)، التذكرة لأصول العربية ومعرفة العوامل لمكي بن أبي طالب القيسي (القفطي،1981، ص 1180،2/1179)، العوامل والهوامل في النحو لأبي الحسن علي بن فضال المجاشعي (ابو حيان الاندلسي، 1986، ص5).

تعد نظرية العامل من الأسس المهمة التي قام عليها النحو العربي، وأكبر الظن أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي أرسى الدعائم الأولى لهذه النظرية، فالرجل ذو حظ كبير من الذكاء، فهو أول من استخرج العروض وحصن به الشعر العربي (ابن النديم، 1970، ص1/76). وأول ذكر للعوامل نجده على لسان الخليل من خلال كلامه في عمل "إن، وأن، وكأن، ولكن، وليت، ولعل" قال سيبويه: "زعم الخليل أنها عملت عملين: الرفع والنصب، كما عملت (كان) الرفع والنصب، حين قلت: كان أخاك زيد، إلا أنه ليس لك أن تقول: كأن أخوك عبد الله، تريد: كأن عبد الله أخوك، لأنها لا تصرف تصرف الأفعال، ولا يضمر فيها المرفوع كما يضمر في "كان"، فمن ثم فرقوا بينهما كما فرقوا بين (ليس) و(ما) فلم يجروها مجراها، ولكن قيل هي بمنزلة الأفعال فيما بعدها وليست بأفعال" (سيبويه، 1966، ص2/131)، ومن أوائل النحاة الذين تعرضوا لهذه النظرية في كتبهم التي وصلتنا سيبويه، حيث جاء في كتابه في باب مجاري أواخر الكلم في العربية وهي تجرى على ثمانية مجارٍ : على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم

والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الضم، والجزم والوقف (سيبويه، 1966، ص2/131).

وإنما ذكرت لك ثمانية مجارٍ لأَفرُقَ بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدِثُ فيه العامل – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه – وبين ما يُبنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرفُ حرفُ الإعراب.

فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب. وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة. وللأفعال المضارعة ولأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمز، التاء، والياء، والنون. وذلك قولك: أفعل أنا ويفعل هو أو هي، ويفعل هو، ونفعل نحن (سيبوية، 1966، ص1/16).

وقال أيضا: النصب في الأسماء: رأيت زيداً، والجر: مررت بزيدٍ، والرفع: هذا زيدٌ، وليس في الأسماء جزم، لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة، والنصب في المضارع من الأفعال: لن يفعلَ، والرفع: سيفعلُ، والجزم: لم يفعلْ وليس في الأفعال المضارعة جرٌّ كما أنه ليس في الأسماء جزم، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقبٌ للتنوين، وليس ذلك في هذه الأفعال. وإنما ضارعت أسماء الفاعلين أنك تقول: إن عبد الله ليفعلُ، فيوافق قولك: لفاعل، حتى كأنك قلت: إن زيداً لفاعلٌ فيما تريد من المعنى، وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم، ولا تلحق فَعَلَ اللامُ. وتقول: سيفعل ذلك وسوف يفعل ذلك فتُلحِقُها هذين الحرفين لمعنى كما تلحق الألف واللام الأسماء للمعرفة.

ويبين ذلك أنها (أي الأفعال المضارعة) ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك، ألا ترى أنك لو قلت إن يضرب يأتينا، وأشباه هذا، لم يكن كلاماً، إلا أنها ضارعت الفاعل لاجتماعهما في المعنى... ولدخول اللام قال الله جل ثناؤه (وإن ربك ليحكم بينهم) (سورة النحل اية124)، أي لحاكمٌ. ولما لحقها من السين وسوف كما لحقت الاسم الألف واللام للمعرفة.

وأما الفتح والكسر والضم والوقف فللأسماء غير المتمكنة (يعني الأسماء المبنية) المضارعة عندهم التي لم تجر مجرى المضارعة، وللحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال ولم تجئ إلا لمعنى.

فالفتح في الأسماء قولهم: وأين وكيف، والكسر فيها نحو: أولاء وحذارِ وبدادِ، والضم نحو حيثُ وقبلُ وبعدُ، والوقف نحو منْ وكمْ وقطْ وإذْ، والفتح في الأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة قولهم: ضربَ وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه فعل. ولم يسكنوا آخر فعل، لأن فيها بعض ما في المضارعة، تقول هذا رجلٌ ضربنا، فتصف بها النكرة، وتكون في موضع ضارب إذا قلت: هذا رجل ضارب وتقول: إن فعل فعلت، فيكون في معنى إن يفعل أفعل، فهي فعلٌ كما أن المضارع فعلٌ وقد وقعت موقعها في إن، ووقعت موقع الأسماء في الوصف كما تقع في المضارعة وفي الوصف فلم يسكِّنوها كما لم يسكِّنوا من الأسماء ما ضارع: مِنْ علُ، حركوه لأنهم قد يقولون من علٍ فيجرونهم. وأما المتمكن الذي جعل بمنزلة غير المتمكن في موضع فقولك: أبدأُ بهذا أولُ، ويا حكم (سيبويه، 1966، ص1/17).

يعد النص السابق أول نص ورد إلينا يشير صراحة إلى لفظ العامل والمعمول بمعناهما الاصطلاحي، ويحدد حروف الإعراب وعلامته، ويفرق بينه وبين البناء ويوضح مواضع الإعراب.

ورد العامل في أبواب كثيرة من كتاب سيبويه وكمثال على ذلك:

باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعلُ فاعلٍ (سيبويه، 1966، ص1/33).

باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول (سيبويه، 1966، ص1/34).

باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب (سيبويه، 1966، ص 1/44).

وهناك أمثلة كثيرة لهذه الأبواب في الكتاب، ولنضرب مثلاً على معالجة سيبويه لنظرية العامل من خلال باب واحد وهو باب التعجب عند شرحه للمثال: ما أحسن عبد الله!، يقول: (زعم الخليل أنه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التعجب، وهذا تمثيل ولم يتكلم به (سيبويه، 1966ص1/72))، ثم يمضي في شرح التعجب ويوضح قواعده وقوانينه حيث يقول: ولا يجوز أن تقدم عبد الله وتؤخر (ما) ولا تزيل شيئا عن موضعه ولا تقول فيه ما يحسن، ولا شيئا مما يكون في الأفعال سوى هذا. وبناؤه أبداً من فَعَلَ وفَعِلَ وفَعُلَ وأفْعَلَ، وهذا لأنهم لم يريدوا أن يتصرف، فجعلوا له مثالاً واحداً يجري عليه، فشبه هذا بما ليس من الفعل نحو: لات وما. وان كان من حسن وكرم وأعطى، كما قالوا: أجدل فجعلوه اسما وان كان من الجدل (سيبوية، 1966، ص1/73). وربما كان مراد سيبويه من النص السابق أنه يعني أن فعل التعجب فعل جامد لا تأتي منه بصيغ أخرى إلا الصيغ المسموعة، لأن المراد منه هنا التعجب.

ويتضح منهج سيبويه في الكتاب من خلال حرصه الشديد على القواعد النحوية وكذلك حرصه الكبير على ضرورة موافقة النصوص للمعاني التي تدل عليها هذه النصوص، ودليلنا على ذلك قوله في باب التنازع معللاً إعمال الفعل الثاني: (وإنما كان الذي يليه أولى لقربه وجواره وانه لا ينقص معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول في مثل قولك: ضربت وضربني زيدٌ، وضربني وضربت زيداً، قد وقع بزيد (سيبوية، 1966، ص1/74).

وفي موضع آخر من هذا الكتاب يقول: (فالفعل الأول في كل هذا معمل في المعنى وغير معملٍ في اللفظ، والآخر معمل في اللفظ والمعنى) (سيبوية، 1966، ص1/97).

وعلى هذا الأساس يقوم بعض تبويب الكتاب على الاحتفاء بالعامل مع عدم إهمال صحة المعنى، ووجوب خضوع العامل لها، ولذا أصبح الكتاب هو القدوة الحسنة لكتب النحو العربي التي أتت من بعده.

ومن العلماء الذين اهتموا بنظرية العامل في كتبهم المبرد حيث نراه اعتمد في تبويبه لكتابه المقتضب على العامل وأنواعه، فقد نهج نهج الكتاب لسيبويه، فالعامل عنده هو آلة للرفع وليس عاملاً حقيقياً، وبمناقشة أراء المبرد حول العامل في باب الفاعل مثلاً نجده يقول: (فإن قولك: يضرب زيدٌ، (يضرب) هي الرافعة، فإذا قلت: لم يضرب زيدٌ (فيضرب) التي كانت رافعة لزيد قد ردَدْتها قبله، و(لم) إنما عملت في (يضرب) ولم تعمل في (زيد)، وإنما وجب العمل بالفعل. فهذا كقولك: سيضرب زيد، إذا أخبرت، وكاستفهامك إذا قلت: أضرب زيد؟، وإنما سألت عنه هل يكون فاعلاً؟، وأخبرت أنه سيكون فاعلاً؟، فللفاعل في كل هذا لفظ واحد يعرف به حيث وقع (المبرد، 1399هـ، 1/147). يتضح لنا من النص السابق أنه يجعل العامل آلة للفعل، وليس عاملاً حقيقيا، ويضيف أن دلالة الفاعل إنما وضعت أصلا لتدل على الفعل والفاعل.

وإذا تتبعنا المبرد في تناوله لهذه النظرية نراه يعالجها في مثل هذه الأبواب الآتية:

رافع الفاعل (المبرد، 1399هـ، 1/150).

العامل المعنوي في رافع المضارع (المبرد، 1399هـ،2/50).

ما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل (المبرد، 1399هـ، ص2/5)

رافع المبتدأ والخبر (المبرد، 1399هـ ،2/49).

العامل غير المتصرف (المبرد، 1399هـ،4/156).

العامل المعنوي في الحال (المبرد، 1399هـ،4/301).

لا يدخل عامل على عامل (المبرد، 1399هـ،4/10).

وإذا تأملنا بعض هذه الأبواب في كتاب المقتضب يتضح لنا ما يلي:

أ. تقسيم المبرد للعامل إلى لفظي ومعنوي.

ب. خص المبرد المبتدأ والمضارع المرفوع بالعوامل المعنوية.

ج. ذكر من العوامل اللفظية الحروف والأفعال.

د. منع المبرد تقديم وتأخير العوامل في الأفعال.

هـ. خص الأفعال بالبناء ولم يقل بإعراب شيء منها إلا ما جاء مضارعاً للاسم.

و. عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال.

ز. الحروف تعمل في الأفعال على الرغم من أن الأفعال أقوى العوام.

كذلك اهتم ابن السراج بنظرية العامل في كتابه "الأصول في النحو"، فنراه قد استفاد من تصنيف سيبويه للعامل النحوي غير أن تصنيف ابن سراج للعامل يتميز بالوضوح ودقة المعالجة، ويظهر أول تقسيم للعوامل في كتابه حين قسم العوامل لأسماء وأفعال وحروف، ثم قسم وفصل كل قسم من هذه الأقسام ذاكراً القوانين الخاصة بكل قسم.

والقارئ لكلام ابن السراج يستشف أنه قسم العوامل إلى ثلاثة أقسام:

أ. المبتدأ يعمل الرفع في الخبر.

ب. ما تضمن معنى الفعل، ويقصد بها المشتقات (اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل، والمصدر الذي يعمل عمل فعله).

ج. ما تضمن معنى الحرف، وذلك في باب الإضافة.

كما تحدث عن الأسماء والأفعال العاملة تحدث كذلك عن الحروف العاملة من خلال تقسيمه لها إلى ثلاثة أقسام حسب اختصاصها في العمل:

ما يدخل على الأسماء فقط دون الأفعال وهي قسمان:

ما يعمل الجر ويشمل حروف الجر بنوعيها (ما يصل اسم باسم نحو: خاتم من فضة، وما يصل فعلاً باسم نحو: مررت بزيد).

ما يدخل على المبتدأ والخبر، ويعمل فيهما الرفع والنصب، مثل إن وأخواتها المختصة بالدخول على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ وترفع الخبر وذلك نحو: السماء ممطرة، وإن السماء ممطرةٌ.

ما يدخل على الأفعال فقط ويشمل الحروف الجازمة والناصبة نحو: (أن) الناصبة في نحو قولك :(أريد أن أتوب) و(لم) الجازمة في نحو قولك (لم يأتِ أحدٌ) فهذه الأدوات لا تعمل إلا في الأفعال فقط. ومن الحروف التي تنصب: (أن، لن، كي، إذا)، ومن الحروف الجازمة هي: (لم، لام الأمر، ولا الناهية، إن، وإذ، ما، من أدوات الشرط).

ما يدخل على الأسماء والأفعال على السواء مثل همزة الاستفهام نقول: (أيحضر الغائب؟) أغائب محمد؟، ومثلها (ما) نقول: ما قام زيد، وما زيد قائماً، وهي الحجازية التي بمعنى ليس. (ابن السراج، 1987، ص1/154).

إن تقسيم ابن السراج السابق قد شكَّل الأساس الذي سار عليه النحاة من بعده، فاستفادوا منه كثيراً، نظراً لوضوحه وللاهتمام البالغ الذي يوليه للمعاني، فالنحو عنده إنما هو في خدمة المعنى، وأن القواعد التي توصل إليها النحاة بالاستقراء يجب ألا تكون شاغلاً للدارس عن المعاني.

كما تناول ابن السراج الأحكام والقوانين الخاصة بالعامل قارناً لها بالمعاني، فيتحدث عن حكم تقديم وتأخير العامل ويضرب الأمثلة على ما يقول، فيقول (ويجوز أن تقدم الخبر على المبتدأ ما لم يكن فعلاً خاصة، فتقول: منطلق زيد، وأنت تريد: زيد منطلق، فان أردت أن تجعل منطلقاً في موضع (ينطلق) فترفع "زيداً" بمنطلق على أنه فاعل كأنك قلت: ينطلق زيد، قبح إلا أن تعتمد اسم الفاعل وهو (منطلق) وما أشبه على شيء قبله، وإنما يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرت على موصوف نحو قولك: مررت برجل قائم أبوه، ارتفع (أبوه) (بقائم) أو يكون مبنياً على مبتدأ نحو قولك: زيد قائم أبوه، وحسن عندهم : أقائم أبوك، وأخارج أخوك، تشبيهاً بهذا إذا اعتمد (قائم) على شيء قبله، فأما إذا قلت: قائم زي، فأردت أن ترفع زيداً بقائم وليس قبله ما يعتمد عليه البتة فهو قبيح، وهو جائز عندي على قبحه وكذلك المفعول لا يعمل فيه اسم الفاعل مبتدأ غير معتمد على شيء قبله نحو: ضارب وقاتل، ولا تقول: ضارب بكراً عمرو، فتنصب بكراً (بضارب) وترفع (عمراً) به، لا يجوز أن تعمله عمل الفعل حتى يكون محمولاً على غيره، فتقول: هذا ضارب بكراً، جعلوا بين الاسم والفعل فرقاً، فاذا قلت: قائم أبوك (فقائم) مرتفع بالابتداء، وأبوك رفع بفعلهما وهما قد سدا مسد الخبر (ابن السراج،1987، ص60،1/59).

شغلت نظرية العامل عالماً فذاً عاش في القرن الرابع الهجري ألا وهو أبو علي الفارسي ونلحظ اهتمامه بهذه النظرية في كتابه "الإيضاح العضدي" إذ فيه أثر واضح للعامل النحوي، فنراه يتعرض له في عدة أبواب منها:

باب العوامل الداخلة على الابتداء والخبر (ابوعلي الفارسي، 1981، ص 1/95)، وهو باب رئيس في الكتاب، جمع فيه أبو علي الفارسي: كان وأخواتها وإن وأخواتها، وظن وأخواتها. وقد اعتمد العمل للربط بين هذه الأدوات على الرغم من كونها تختلف من حيث المعنى، (فإن و أن) للتوكيد، (ولكن) للاستدراك، (وكأن) للتشبيه، (وليت) للتمني، (ولعل) للترجي.

باب الأسماء التي أُعملت عمل الفعل (ابوعلي الفارسي،1981، ص 1/139) ويناقش فيه:

أ. أسماء الفاعلين (ابوعلي الفارسي،1981، ص 1/141).

ب. باب المفعول به (ابوعلي الفارسي،1981، ص 1/169).

من هذا التقسيم يتضح لنا أثر نظرية العامل في تبويبه وتقسيمه.

وإذا دخلنا القرن الخامس الهجري التقينا بأحد أعلام الفصاحة والبلاغة واللغة والنحو ذلكم هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وللجرجاني كتابان عالج فيهما نظرية العامل هما كتاب (العوامل المئة) وكتاب (الجمل)، كما له كتاب (دلائل الإعجاز) الذي تناول فيه قضية النحو والإعراب، ويلاحظ أنه أفرد كتابي (العوامل المئة) و(الجمل) لمناقشة العامل النحوي، وفي كتابه (العوامل المئة) قسم العوامل الى مئة عامل جاءت على النحو الآتي:

العوامل السماعية، العوامل القياسية، عوامل معنوية.

أما في كتابه (الجمل)، فالعوامل عنده على ثلاثة أقسام هي: الأفعال وهي أصل العوامل عنده، والأسماء، وعوامل الحروف (الجرجاني، 1997، ص20).

ويكاد الجرجاني في تقسيمه يتفق مع ابن السراج في الأصول، إلا أنه يختلف عنه في جعل عوامل الأفعال هي الأصل بينما يرى ابن السراج أن عوامل الاسم هي الأصل.

كما قسم العوامل إلى لفظية ومعنوية في هذا يقول (والكلمات المعربة على ضربين):

1. ما ليس له عامل ظاهر لفظي: وهو ثلاثة: المبتدأ والخبر كقولك: (زيد منطلق)، فإنهما مرفوعان، وليس لهما رافع ظاهر لفظي، وإنما رفعا بالابتداء، ومعنى الابتداء: أن تجرد الاسم من العوامل اللفظية لتسند إليه خبراً، الثالث الفعل المضارع في حالة الرفع، فأنت إذا قلت (يضربُ زيدٌ) كان (يضرب) مرفوعاً من غير رافع ظاهر.
2. ما كان له عامل ظاهر لفظي كالمجرور بالباء في (بزيدٍ) والمجزوم في (لم يضربْ) (الجرجاني، 1997، ص12).

أما كتابه (العوامل المئة) فهو أشبه بحصر للعوامل اللفظية وأنواعها، والمعنوية وأنواعها، وقد قسم العوامل اللفظية إلى سماعية، والسماعية إلى ثلاثة عشر نوعا، وبالنظر للكتابين يتضح اهتمام الجرجاني بالألفاظ والعناية بها، ولكنه مع ذلك تجده شديد الاهتمام بالمعنى، ولا غرابة في ذلك فالرجل من أساطين البلاغة، ويرجع الاهتمام بالألفاظ عنده لأنها تقرّب المعاني، وتهذِّب ذهن المبتدئ.

المبحث الرابــع: العامل عند الكوفيين

اهتم الكوفيون بالعامل بمثل ما اهتم البصريون، ومرجع ذلك أن نحاة الكوفة الأوائل بالقطع هم تلاميذ لنحاة البصرة، فالكسائي تلميذ للخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الذي أشار عليه بالرحلة إلي البادية، كما تتلمذ الكسائي على يونس ابن حبيب، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش الأوسط، وكذلك فعل تلميذه الفراء فقد تتلمذ على يد يونس بن حبيب.وقيل إنّ كتاب سيبويه قد وجد تحت وسادة الفّراء عندما وافاه الآجل. (ابو الطيب اللغوي، 1970، ص12)، فهذا السيوطي يوضح مدى اهتمام الكوفيين بنظرية العامل والمعمول فنراه يقول في شأن المفاعيل: "إن انقسام المفعول إلي مفعول مطلق، ومفعول به، وله، وفيه، ومعه، هو مذهب البصريين، وأما الكوفيون فزعموا أن الفعل إنما له مفعول واحد وهو المفعول به، وباقيها عندهم ليس شيء منها مفعولا، وإنما شبه بالمفعول" (السيوطي، 1982، ص1/165).

نستشف مما سبق أن الكوفيين قد أهملوا التقسيمات المعروفة لدى البصريين للمفاعيل، فلم يعتدوا إلا بالمفعول به وما عداه أطلقوا عليه شبه المفعول، كما نجدهم قد تحدثوا عن العامل في هذه المفاعيل وذلك في قولهم "أنّ الفعل إنما له مفعول واحد وهو المفعول به، بل نراهم يقسمون الأفعال إلي قسمين خلافا للبصريين". "الفعل ثلاثة أقسام خلافا للكوفيين في قولهم: قسمان، وجعلوا الأمر مقتطعا من المضارع" (السيوطي، 1982، ص1/7).

فالبصريون يقسمون الفعل إلي ثلاثة أقسام: الماضي والمضارع والأمر، بينما الكوفيون يقسمونه إلي قسمين: ماض ومضارع، أما فعل الأمر فعندهم مقتطع من الفعل المضارع وجزء منه، فـ "اضرب" أصلها لتضرب، وفعل الأمر عندهم معرب لا مبنى، وإعرابه بلام الأمر المحذوفة حذفا مستمرا، وأن القسم الثالث للأفعال هو "الفعل الدائم" وهو اسم الفاعل إذا كان عاملا، وإن كان غير عامل جعل من الأسماء.

(الفراء، 1980، ص1/165) قد أطلق نحاة الكوفة مصطلح الفعل على ما يعرف عند البصريين باسم الفعل، نحو: صه، ومه، وهيهات، ووي، وغيرها (السيوطي، 1982، ص2/105)، وتسمى عندهم بالخالفة.

يتحاشى الكوفيون التقدير أحيانا، ويتجلى ذلك في إعراب "أحد" من قوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ....) (التوبة: اية6)، كما نراهم يبتعدون عن منهج الفلاسفة والمتكلمين أحيانا، ونلمس ذلك عند الفراء عندما قال بترافع المبتدأ والخبر، لأن الترافع يؤدي عندهم الي الدور، والدور محال. (الاستراباذي، 1998، ص1/18)، وذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو: "زيد أخوك، وعمرو غلامك" وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه، فذهب قوم إلي أنه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلي أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معاً، وذهب آخرون إلي أنه يرتفع بالمبتدأ، والمبتدأ يرتفع بالابتداء.... (ابن الانباري، 1998، ص1/44)، وهذا الفراء كذلك يقول في قاعدة إملائية للتفرقة في كتابة "إذن" بين الناصبة وغيرها: (إن عملت "أي إذن" كتبت بالألف، وإلا كتبت بالنون) (الفراء، 1928، ص15).

والمتصفح لكتاب "الإنصاف" يجد مدى اهتمام الفريقين بالعامل ذلكم الاهتمام الكبير، فكلا الفريقين يعترف بوجود العامل في النحو العربي ولكنهما يختلفان في أيها يعمل في المعمولات (ابن الانباري، 1998، ص1/70).

فالكوفيون يحترمون ظاهر الكلام العربي، ويعتدون بالنص والرواية وصحتها، ومما يدلل على ذلك أنهم ذهبوا إلي أن العامل في المفعول به النصب، هو الفعل والفاعل جميعا، و ذهب بعضهم إلي أن العامل فيه الفاعل، وذهب خلف الأحمر منهم إلي أنه معنى المفعولية، على أن العامل في الفاعل عامل الفاعلية، وعند البصريين العامل فيه الفعل،.... (ابن الانباري، 1998، ص1/81).

هذه المسألة تدل أولاً على الاتفاق على المبدأ، وهو نظرية العامل التي أصبح البحث عنها هدفاً، والجدال حولها وسيلة، فإذا اختلفت الوسائل واتحدت الأهداف فإن هذا الخلاف يعد خلافاً علمياً، يدل على مستوى متقدم من البحث العلمي. وتدل المسألة ثانيا على عدم وجود قانون متفق عليه يرشد إلي العامل، لهذا اجتهد النحاة أفرادا وجماعات، فأصابوا أحيانا وتكلفوا حينا.

يبدو مما تقدم - وهو قليل من كثير - الفرق الواضح بين نظرة البصريين للعامل النحوي الذي بنوا عليه قواعدهم ومفاهيمهم، وهي مفاهيم تعمل على تقديس العامل والقياس المنطقي أولا، وقبل كل شيء مهما كلفهم ذلك من تأويلات وتخريجات قد تكون قريبة المأخذ حينا وبعيدة المأخذ حينا آخر، ومهما تطلب الأمر من تأويل وتقدير، وحذف وطرح لفصيح اللغة أحيانا، والحكم عليه بالشذوذ إذا لم يقبل التأويل والتخريج، والكوفيون الذين يذهبون كما اتضح مما سبق مذهبا فيه الكثير من احترام النصوص العربية دون الحاجة إلى تأويل أو تخريج. فالكوفيون في نظرتهم للعامل يأخذون الواقع اللغوي أساسا لبناء القاعدة كما أن آراءهم وعللهم في معظمها مقبولة، وما ذاك إلا لاحترامهم المعنى المقصود في الكلام.

ابتكر الكوفيون عاملا جديدا أضافوه إلي عواملهم رغم عدم رضى البصريين عنه، وهو عاملا الخلاف والصرف، وقد نصب به الكوفيون:

الظرف الواقع خبرا للمبتدأ (ابن الانباري، 1998، ص1/245)

المفعول معه (ابن الانباري، 1998، ص1/248).

المضارع بعد واو المعية (ابن الانباري، 1998، ص2/555)

المضارع بعد فاء السببية (ابن الانباري، 1998، ص2/557).

وتأسيسا لما سبق نلاحظ أن الكوفيين أخذوا بنظرية العامل أخذا رقيقا، ولم تشغلهم فلسفته عن ملاحظة الظواهر اللغوية، بل جمعوا بين الأمرين في إحكام، فلم يمنحوا العامل خصائص العلة، ولم يفلسفوه، فقد كان العامل عندهم متصيدا من فهم الطبيعة اللغوية (المخزومي، 1377هـ، ص394).

المبحث الخامس: ما يؤخـذ على نظريـــة العامل

بدأت نظرية العامل يسيرة صافية على يد البصريين، إذ كان الغرض منها حفظ القرآن الكريم من اللحن وتفسير العلامات الإعرابية، ولكن نحاة القرن الثالث – فيما يبدو – قد تأثروا بالمنطق اليوناني نوعا ما، فتأثرت به نظرية العوامل ونلحظ ذلك في حديث المبرد عن الأفعال حيث يرى أن الأصل فيها ألا تعرب، قال: (لأن الإعراب لا يكون إلا بعامل، فإذا جعلت لها عوامل تعمل فيها لزمك أن تجعل لعواملها عوامل، وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية) (المبرد، 1399هـ، ص4/80). وفي حديثه هذا نجده يتأثر بنظرية التسلسل عند المناطقة. ونراه يقول أيضا في حديثه عن جمع طلحة: (فأما طلْحة لو قلت: في جمعها: طلَحون، للزمك أن تكون أنثته وذكرته في حال، وهذا هو المحال (المبرد، 1399هـ، ص4/8)، و"كلمة" المحال هي من مصطلحات المناطقة (بدوي، 1963، ص96، 98).

على أن تأثير المنطق اليوناني في المبرد يبدو ضئيلاً خفيفاً، ولعل السبب في ذلك يعود إلي تأثير كتاب سيبويه الذي كان لا يزال طاغياً في تلك الفترة. ولكن في القرن الرابع الهجري ظهر بوضوح أثر المنطق في الحياة الفكرية، حيث شهد هذا القرن الصراع بين المنطق والنحو، ويبدو ذلك في تلك المناظرة التي عقدها الوزير ابن الفرات بين الفيلسوف متى بن يونس والنحوي أبي سعيد السيرافي (ابوحيان الاندلسي، 1986، ص1/107)، على أن بعض النحويين قد أفرطوا في الاعتماد على المنطق، وأوغلوا فيه مما أورثهم تعقيداً في الأسلوب وإبهاماً في الكلام، ويمثل هؤلاء علي بن عيسى الرماني فقد كان من أئمة الاعتزال والكلام والمنطق، ومن أكثر العلماء احتفاء بهذه العلوم العقلية الجدلية وتأليفا فيها، وكان يمزج كلامه بالمنطق (ابن الانباري، 1970، ص234)، فكان من أسباب تأثرهم بالمنطق أنهم ينعطفون بنظرية العامل أحيانا نحو التكلف وسوء التقدير، وأحياناً أخرى إلي التحكم بالكثير من النصوص الفصيحة، إذ كانوا يؤولونها تأويلاً بعيداً لكي تنطبق على قواعدهم، وربما عدوها من ضرورات الشعر.

ومهما يؤخذ على هذه النظرية من مآخذ فمن العدل والإنصاف أن أؤكد أن علماءنا الإجلاء الأوائل قد بذلوا جهودا جبارة في خدمة لغتنا العربية واستنباط قواعدها، يدفعهم إلي ذلك حرصهم على صيانة القرآن الكريم من اللحن والتحريف، يقول يوهان فك (ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب، بغرض اللغة الفصحي، وتصويرها في جميع مظاهرها من ناحية الأصوات والصيغ وتراكيب الجمل ومعاني المفردات على صورة محيطة شاملة، بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد) (فك،1951، ص14)، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وكان من أعمالهم المهمة أن أنشأوا نظرية العامل التي تبدو أهميتها في أنها أعطت تفسيرا سائغا ومقنعا لاختلاف علامات الإعراب، وذلك عندما كشف النقاب عن أن هذه العلامات تأتي مصحوبة بألفاظ معينة تنتظم معها في تركيب خاص، ومن ثم ساغ أن ينسب إليها إحداث هذه العلامات، فأحرف الجر مثلا تأتي الأسماء بعدها مجرورة، و(إن) وأخواتها تأتي الأسماء بعدها منصوبة ومرفوعة، وأحرف النصب لا ينفك المضارع بعدها من النصب، وأحرف الجزم لا يأتي المضارع بعدها إلا مجزوما وهكذا دواليك.

فالملاحظ أن الإعراب ينجم عن تأثير الألفاظ بعضها ببعض، وأن هذا التأثير أصبح اليوم من الحقائق المسلم بها في الدراسات اللغوية المعاصرة، وفي هذا يقول الدكتور عبده الراجحي: (والحق أن قضية العامل في أساسها صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحليلي على صورة لا تبتعد كثيرا عن الصورة التي جاءت في النحو العربي، والتحليل النحوي عند التحويليين يكاد يتجه إلي تصنيف (العناصر) النظمية ، وفقا لوقوعها تحت عوامل معينة، ينبغي على الدارس أن يعرفها ابتداء ، وتكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء) (الراجحي، 1979، ص148).

ومِنْ ثَمَّ تعتبر نظرية العامل من الأهمية بمكان، إذ إنها تنهض بعبء مهم في تيسير تعليم اللغة العربية، وضبط علامة الإعراب فيها، وذلك لأن العامل قرينة تهدي المتكلم إلي العلامة الإعرابية المطلوبة والضبط الصحيح.

خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتنقضي الحاجات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هادي الأفراد والجماعات، وعلى آله وصحبه أولي الهدى والبركات.

بعد أن اكتمل هذا البحث ــ بعون الله ومدده ــ أرجو أن أكون قد وُفقت في إعطاء هذه القضية حقها القليل من الدراسة والبحث والمساعدة في جلاء بعض حقيقتها، فإن كان الأمر كذلك فمن الله فله الحمد والمنة، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان ـــ أعوذ بالله منه ــ ولكم العتبى حتى ترضوا.

جاء هذا البحث في خمسة مباحث: الأول: العامل في اللغة والاصطلاح، الثاني: أنواع العوامل، الثالث: العامل عند البصريين، الرابع: العامل عند الكوفيين، والخامس ما يؤخذ على نظرية العامل.

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

1. أن نظرية العامل تعتبر من الأسس المهمة التي قام عليها النحو العربي، وأكبر الظن أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو الذي أرسى دعائمها الأولى.

2. أن نظرية العامل من الأهمية بمكان، إذ إنها تنهض بعبء مهم في تيسير تعليم اللغة العربية، وضبط علامة الإعراب فيها، إذ الإعراب ينجم عن تأثير الألفاظ بعضها ببعض، وأن هذا التأثير أصبح اليوم من الحقائق المسلم بها في الدراسات اللغوية المعاصرة.

3. أن البصريين يعتمدون على تقديم عمل العامل والقياس المنطقي على منطق اللغة ونظامها مهما كلفهم ذلك من تأويلات وتخريجات، في حين أن الكوفيين يعترفون بوجود العامل في النحو العربي ولا يقدمونه على منطق اللغة ونظامها ويحترمون ظاهر الكلام العربي، ويعتدون بالنص والرواية وصحتها.

4. إن ما يؤخذ من مساوئ نظرية العامل هو تمحّل النحاة المتأخرين وتكلفهم في قواعد التخريج وهذا لا يطعن في صحة النظرية وأثرها في بيان قواعد النحو العربي وتيسير تعليمه وتعلمه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد (1377ه-1975م). أسرار العربية، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الدقي دمشق.

ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد (1970). نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ط2، مكتبة الأندلس بغداد.

ابن الأنباري، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي سعيد (1998م). الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الخشاب، عبد الله بن احمد (1987م). المرتجل، مكتبة الخانجي القاهرة.

ابن السراج، ابوبكر محمد (1987م). الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن النديم، محمد بن آسحق (1988م). الفهرست، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت.

ابن جني، ابو الفتح عثمان (1985). سر صناعة الإعراب. ط1، دار القلم، دمشق.

ابن جني، ابو الفتح عثمان (2006). الخصائص. عالم الكتب، بيروت.

ابن دريد، ابوبكر محمد بن الحسن (1969م). جمهرة اللغة. ط1. دار صاد، بيروت.

ابن سيده، ابو الحسن الاندلسي (2000م). المحكم والمحيط الأعظم. دار الكتب العلميه، بيروت.

ابن مضاء، احمد بن عبد الرحمن (1974). الرد على النحاة. تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة.

ابن منظور، محمد بن أكرم (1969م). لسان العرب، دار صادر، بيروت.

أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي (1970م). مراتب النحويين واللغويين. دار الجيل، بيروت.

أبو حيان الأندلسي، اثير الدين محمد بن يوسف (1406ه-1986م). تذكرة النحاة، تحقيق د. عوض عبد الرحمن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أبو علي الفارسي، الحسن بن احمد (1401ه-1981م). الإيضاح العضدي. ط1. عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض.

الأشموني، ابو الحسن نورالدين (1970م). شرح الأشموني على ألفية بن مالك المسمى منهج السالك إلي ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط3. النهضة المصرية.

بدوي، عبد الرحمن (1963م). المنطق الصوري الرياضي. ط2. مكتبة النهضة المصرية.

الجرجاني، عبد القاهر (1977م). الجمل، تحقيق علي حيدر. دار الفكر، دمشق.

الجرجاني، عبد القاهر (1985م). العوامل المائة. تحقيق البدراوي زهران. ط2. دار المعارف، مصر.

الراجحي، عبده (1979م). النحو العربي والدرس الحديث. دار النهضة المصرية، بيروت.

رضي الدين الاستراباذي، محمد بن حسن (1998م). شرح الكافية. ط 1. دار الكتب العلمية، بيروت.

الرماني، ابوالحسن علي بن عيسى. الحدود في النحو، دار الهدى للنشر، بيروت.

الزبيدي، ابوبكر (1984م). طبقات النحويين واللغويين. دار المعارف، القاهرة.

الزبيدي، محمد مرتضي (1965م). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي. دار الجيل، بيروت.

الزجاجي، ابو القاسم عبد الرحمن آسحق (1942م). الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك. دار العروبة ومطبعة المدني، مصر.

الزجاجي، ابو القاسم عبد الرحمن آسحق (1990م). الجمل في النحو. دار الكتب العلمية، بيروت.

الزمخشري، ابو القاسم جار الله (1985م). المفصل في صنعة الإعراب. دار الكتب العلمية، بيروت.

السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1992م). نتائج الفكر في النحو. دار الكتب العلمية، بيروت.

سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان (1966م). الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار العلم، القاهرة.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (1958م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه. مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (1976م). الاقتراح. تحقيق أحمد محمد قاسم. مطبعة السعادة، مصر.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (1982م). همع الهوامع. شرح جمع الجوامع في علم العربية. تصحيح محمد بدر النعساني. دار المعرفة، بيروت.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (1985م). الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق عبد العال سالم مكرم. ط1. مؤسسة الرسالة، بيروت.

العكبري، ابو عبد الله ابو الحسين (1995م). اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق غازي مختار. ط1. دار الفكر، بيروت.

الفراء، ابو زكريا يحي بن زياد (1928م). المقصور والممدود، تحقيق إبراهيم محمد عبد الله. مجمع اللغة العربية، دمشق.

الفراء، ابو زكريا يحي بن زياد (1980م). معان القرآن. دار الفكر العربي، بيروت.

فك، يوهان (1951م). العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. ترجمة عبد الحليم النجار. مكتبة الخانجي، القاهرة.

القفطي، ابو الحسن علي بن يوسف (1981م). إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية للكتاب.

المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (1399هـ). المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. لجنة إحياء التراث الاسلامي، وزارة الاوقاف، القاهرة.

المخزومي، مهدي (1377هـ). مدرسة الكوفة. ط2. مطبعة مصطفى البابي، الحلبي.

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

القياس وتطبيق قواعده على السوابق القضائية

الريح رحمه حمد

كلية الشريعة والقانون – جامعة وادي النيل

المؤلف:**alraiahrahama@gmail.com**

المستخلص:

نص كثير من علماء الأصول متقدمين ومتأخرين على أهمية القياس باعتباره باب الاجتهاد الأول بعد الكتاب والسنة، ونسبة لذلك فقد جاء هذا البحث من مقدمة تبين أهمية قواعد الأصول بعمومها، والقياس بصورة خاصة، وإعماله في نظرية السوابق القضائية، وتطبيقها في مستجدات القضايا معرجاً على تعريفه وأركانه، بحيث يمكن أن تمثل السابقة الأصل والمقيس عليه، والقضية المستجدة الفرع، وحكم السابقة ركناً آخر، بينما علته التي بني عليها في السابقة الأولى هي أهم الأركان باعتبارها مناط الحكم عندما تتوافر في الفرع، فينتقل معها ذلك الحكم السابق. وختمته بمثال من المحكمة العليا عندما حكمت في قضية مستحدثة بذات الحكم في السوابق القضائية عندما وجدت سببه موجوداً في ما بين يديها، وانتهى البحث بأهم النتائج وأهم التوصيات.

كلمات مفتاحية: القياس، الاستنباط، إثبات العلة، السوابق القضائية.

Analogy and its Rules Applications on Judicial Precedents

Elrayah Rahama Hamad Omer

Faculty of Sharia and Law, Nile Valley University, Sudan

Corresponding Author:alraiahrahama@gmail.com

ABSTRACT:

Many advanced and late scholars stipulated the importance of juristic reasoning, considering it as the first step of Ijtihad directly after Quran and Sunna. Thus comes this research to point out the importance of rules of fundamentals in general and juristic reasoning in particular, and its functions in the precedent law theory cases as well as new cases, explaining its pillars. It considers juristic reasoning definitions, emerging issues where that the previous rule would be justified upon as a model, upon which a sentence is build. The study is concluded with an example from supreme court when it sentenced a new case with the same judgment in the same case. Finally, the research ends with the most important results and recommendations.

Keywords: Analogy, extrapolation, proof of cause, judicial precedents

مقدمة:

قد أنزل الله تعالى شريعته لتستضيء بها الأمة المحمدية منذ صدرها الأول، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وقد أودعها سر الصلاحية في المعنى والمبنى لحل مشكلات الحياة التشريعية لكل زمان ومكان. ولا يهتدى لذلك إلا من شرح الله صدره لفهم قواعد الإسلام ليكون على نور من ربه.

قال تعالى: (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (سورة النساء الآية: 83) ومن أهم العلوم التي شرح الله بها صدور علماء هذه الأمة أصول الفقه، وهو يمثل قانوناً يلتزم به المجتهد ليعتصم به من الخطأ في فهم النصوص وصياغة التشريعات التي تحفظ الحقوق وتنظم العلاقات بين الناس ويعتبر القياس قاعدة لا يستغنى عنها مجتهد تناط به التشريعات القانونية في مجالاتها المختلفة، من صياغة وتفسير وتطبيق وخاصة في مجال القضاء عند الرجوع إلى السوابق التي تم الفصل فيها سابقاً عندما يريد أن يلحق بها قضية مستجدة يرى تطبيق ذلك الحكم السابق عليها لسبب مشترك بينهما. وهو الذي يسميه علماء الأصول بعلة الحكم أو الوصف الذي يجمع بين الأولى باعتبارها الأصل والثانية باعتبارها الفرع.

وبتطبيق مثل هذه القواعد الأصولية نستطيع أن نقول ذلك هو التمسك بطريق نصل به إلى منتهى المقصد الأسمى وهو الفوز بسعادة الدارين من حياة عادلة وآخرة يرضاها الله ورسوله، وإلا فلا توجد منهجية صحيحة.

إذن يجب هنا القول بأن مالم تذكره الشريعة نصاً على حكمه، لا يعني أنها قصرت عن تناوله فقهاً ودلالة على ما يشير إلى معناه وفهمه. ولكن بطريق لا يصل إليه إلا من اختصهم الله تعالى بدراية العواقب والنظر الثاقب، فأصبحت على فهمهم تدور الدوائر، وشرح الله صدورهم والبصائر قال تعالى: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (سورة الحشر الآية: 2)

وعند التنازع يجب الرجوع إليهم والاقتفاء لأثرهم، كيف وهم الذين شرفوا بمعيته صلى الله عليه وسلم ثم خلفوه بعد ولايته على أمر أمته، قال جل شأنه: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ)(سورة النساء الآية :83)

وأولوا الأمر هم العلماء، والاستنباط هو القياس على حد قول بعضهم. (الشوكاني،1417هـ، ص98).

ومن هنا تبدو لنا أهمية القياس عند الفقهاء قديماً وحديثاً، باعتباره دليلاً لا يستغنى عنه المجتهدون، ولا يمكن أن تغفل عنه عقول العالمين أو تخطئه عيون المتفرسين.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الورقة إلى:

1. إلفات أهل الاختصاص إلى أهمية تطبيق قواعد القياس وإعمالها في الواقع.
2. توسيع دائرة الاجتهاد في البحث عن علة الحكم الصادر في السابقة بالطرق التي نص عليها مجتهدو سلفنا الصالح.

أسباب الاهتمام بالموضوع:

1. نجد قصوراً واضحاً بين الكثيرين من طلاب القانون والعاملين في جانب دراسة أصول الفقه وقواعده.
2. لفت نظر الباحثين وأهل القانون إلى خطورة عدم الالتزام بضوابط القياس في ما يعرض لهم من الأشباه والنظائر في قضايا الحقوق.
3. تحقيق أكبر قدر من السلامة في تطبيق القياس على درجاته المختلفة بين السوابق واللواحق من القضايا.

منهج البحث:

قمت في هذه الدراسة بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع المتخصصة والتعليق عليها وشرحها حيثما يستدعي الأمر ذلك كما قمت بعزو النصوص الشرعية وقمت بترجمة الأعلام والتوثيق للمعلومات من مصادرها ومراجعها الأصلية.

الهيكل:

تناولت موضوعات هذه الدراسة من خلال مقدمه وخطة تضمنت التعريف بالقياس وأركانه حيث عرفت العلة وطرق إثباتها كالنص والإيماء والإجماع والمناسبة وطرق المناط كما قمت في نهاية الدراسة بتطبيق قاعدة القياس على مجموعة السوابق القضائية.

القياس

تعريفه وأركانه

حقيقته:

فهو من اللغة: التقدير والنسوبة (الفيروزأبادي،2010، ص 2/253)

أما عند الأصوليين فقد عرفوه بجملة من التعريفات منها:

قال الباقلاني: حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما، بأمر جامع بينهما، من حكم أو صفة.

وقد اعترض عليه جماعة منهم بما يطول ذكره هنا بينما ذكر صاحب المحصول بأنه: اختاره جمهور المحققين.

أما الذي اختاره الشوكاني فهو:

استخراج مثل حكم المذكور، لما لم يذكر، بجامع بينهما وقد يتعذر الحد الحقيقي، لاشتماله على حقائق مختلفة، كالحكم فإنه قديم، والأصل والفرع، فإنهما حادثان، والجامع فإنه علة.

كما يمكن تلخيصه بأنه: المجاوزة بالحكم من الأصل إلى الفرع بشرط الجامع بينهما وهو العلة (الشوكاني،1417هـ، ص 71).

هناك تعاريف أكثر وضوحاً للقياس من خلالها يمكن فهم القياس منها: (الْقيَاس هُوَ إِثْبَات حكم الأَصْل فِي الْفَرْع لاشْتِرَاكهمَا فِي عِلّة الحكم).

وهذا التعريف ذكر الركن الجوهري في القياس ألا وهو العلة: (إثبات حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت) (البيضاوي،1404هـ، ص3 /3).

حجيته:

وعلى كل لا يختلف اثنان من عقلاء الأمة فضلاً عن علمائها بأن القياس حجّة متفق عليها اتفقت تعريفاته أو اختلفت عباراته، وقد جاءت أدلتهم كافية على ذلك. من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم،

وإجماع المجتهدين من أهل الحل والعقد في الإسلام قديماً وحديثاً وكذلك العقل، فما استدلوا به على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ) (سورة الحشر الاية:2)

والقياس اعتبار وكونه اعتبار قضية مسلمة لا تحتاج إلى دليل والاعتبار مأمور به. كما في الآية أعلاه.

والأمر للوجوب، لعدم القرينة الصارفة له عنه إلى غيره. (زهير،2009م، ص 19/4).

ثانياً: استدلوا أيضاً بقصة سيدنا معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حينما بُعثا إلى اليمن وقال لهما صلى الله عليه وسلم: بم تحكمان؟ قالا: بكتاب الله فإن لم نجد الحكم في كتاب الله، حكمنا بسّنة رسول الله، فإن لم نجد الحكم في كتاب الله والسنة نقيس الأمر بالأمر، فما كان أقرب إلى الحق نعمل به، فصوبهما النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

ووجه الدلالة أن تصويب النبي صل الله عليه وسلم لهما في العمل بالقياس دليل على أنّ القياس كالكتاب والسنّة، وأنه يجب العمل به. كما يجب العمل بهما. (زيدان،1976م، ص 174)

ثالثاً: وفي السُنّة من الآثار ما يكفي على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نبّه إلى القياس وصلاحيته لاستخراج الأحكام، منها:

ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله صنعت اليوم أمراً عظيماً، قّبلتُ وأنا صائم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (أرأيت لو تمضمضت بالماء؟ فقال: لا بأس قال صلى الله عليه وسلم فمه). (النسائي، السنن الكبرى 293/2)

ومنها أيضاً: أتت إمرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه، فقالت: يا رسول الله إنّ فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحجعنه؟ قال: نعم. البخاري. (كتاب الحج 6/4، مسلم – الحج 90/5 مع شرح النووي)

وفي رواية (أتى رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم – فقال: إنّ أمي نذرت أن تحج، وأنها ماتت، أفأحج عنها؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لو كان عليها دين أكنت قاضيه عنها؟ قال نعم، قال: فاقضى الله فهو أحق بالقضاء.

وفي كتاب سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأبي موسى الأشعري (الفهم الفهم فيما أولى إليك، مما ورد عليك ما ليس في كتاب ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال، ثم أعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله، وأشبهها بالحق. (سنن الدار قطنى،1990م، ص206 /4)

وغير ذلك من الأخبار التي يتواتر معناها نحو حجية العمل بالقياس وصحة العمل بمقتضاه دون تكبر ممن يعتد بقولهم ويعتبر برأيهم.

أما من العقل فلا شك أن الغاية من تشريع الأحكام بمجملها في الإسلام هي تحقيق مصالح العباد، وهذا لا تعارض فيه مع القياس وتعدية الحكم من الأصل إلى الفرع إذا تحققت العلة في الفرع كما تحققت في الأصل المقاس عليه.

اعتراضات مانعي القياس:

وعلى رغم ما مّر تبيينه بما اتفق عليه جمهور الفقهاء من حجية القياس، ولزوم العمل وضرورة اللجوء إليه عند فقدان النص في مستجدات الحوادث، إلا أنه تكميلاً لعادة البحث إذ من الضروري ذكر بعض ما استدل به المانعون لحجية القياس، ومن تلك الاعتراضات:

1. استدلوا بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُو اللهَّ إِنَّ اللَّه ۖسَمِيعٌ عَلِيمٌ (الحجرات، الآية: 1) والقول بالقياس يعارض مدلل الآية.
2. قوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شيء) (الأنعام الآية: 38)
3. قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النمل الآية:89)

ففي القرآن تبيانٌ لكل شيء فلا حاجة للقياس. (ابن حزم،1405هـ،ص 488/ 8)

وردت آثارٌ كثيرة عن الصحابة رضي الله عنهم بذم الرأي وإنكار العمل به، كقول سيدنا عمر: (إياك وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا) وقوله: إياكم والمكابلة، قيل وما المكابلة؟ قال: المقايسة (الدارقطني،1990م، ص 256/ 5) كانت تلك بعض شبه من أنكر القياس وحجيته. ولكن لم ترد لهم شبهة إلا رد عليها الجمهور بما لا يترك لهم باباً مفتوحاً سوى التسليم بالموافقة أو إخراص ألسنتهم، فمثلاً لا حصراً جاء ردهم على الآيات كالآتي:

1. أن الآية الأولى لا تمنع من العمل بالقياس، بل أوجبت العمل به، لأنها نهت عن العمل بغيره، والعمل بالقياس عمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
2. وأما الثانية فلا دلالة فيها على النفي، لأن الحكم الناشئ عن القياس ليس مظنوناً، بل هو مقطوع به عند المجتهد.
3. وأما الثالثة فقالوا لانسلم أن الكتاب المقصود به القرآن، لجواز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ، وهو الذي دوّن فيه كل شيء.
4. وأما اعتراض الصحابة رضي الله عنهم على الرأي والقياس فإنما هوعلى القياس غيرالصحيح "أي الفاسد"، أما القياس الصحيح فقد قالوا به كما مرّ واحتجوا، وعملوا بمقتضاه (زهير، 2009م، ص4/59)، وغيرذلك من الإعتراضات والرد عليها بما لايدع ذريعة للشك في الأمر به وصحة حجيته كدليل متفق عليه بعد الكتاب والسنة والإجماع.

ومن هنا تجدر الأهمية أن تشير إليه كقاعدة أصولية ودليل يعوّل عليه عند فقدان النص في الواقعة المعينة فيجب مراعاته وفقاً لما بناه عليه أهل الاجتهاد في الفصل في القضايا التي تبنى على السوابق القضائية. وتلك المراعاة تبدأ من أركانه التي تمثلها السابقة التي تم الفصل فيها، والحادثة (القضية) التي يراد إلحاقها بالسابقة، وكذلك الوصف الذي كان سبباً في صدور الحكم الأول في السابقة (العلة) ووجوده فيهما حتى يتعدى الحكم من الأصل للفرع، وكذلك يجب مراعاة شروط تلك الأركان. وكسب ما قرره أهل الأصول ويمكن تلخيص أركان القياس فالأركان هي جمع ركن والركن هو جانب الشيء الذي لا يتحقق بدونه وهي أربعة:

1. الأصل: وهو الذي يراد القياس على حكمه، ويمكن أن تمثله السابقة التي صدر بشأنها حكم قضائي.
2. الفرع: ويمكن أن تمثله القضية المستجدة التي يراد أن تُلحق بالأصل.
3. الوصف الجامع بين الأصل والفرع حيث كان الوصف محققاً في الثانية كما كان محققاً في الأولى وكان سبباً في اصدار ذلك الحكم.
4. حكما لأصل: وهوما صدر بشأن الأصل بناءً على الوصف وكان سببه الحكم القضائي.

وحيث ذكرنا ان اركان القياس هي اربعة والركن الثالث منها هو العلة وهو الذي يدور علية القياس وجوداً وعدماً ويمثل في هذا البحث محور الدراسة لذا فإنني اكتفي بذكر الأركان الثلاثة السابقة وأعرّج على العلة بشيء من التفصيل.

العلة

تعريفها وأهميتها في إجراء المقايسة:

نظراً لأهمية ذلك الركن في المقايسة بين الأصل والفرع، إذ لا يمكن أن يتم نقل الحكم إذا تحققت العلة فيها تماماً، لأن الأحكام تتبع عللها في حالة الوجود والعدم، فلا بد أن نقف على المزيد من تعريفات بعض الأصوليين للعلة. الإمام الآمدي: عرّفها بأنها الوصف الباعث على الحكم، (السبكي،1404هـ، ص8/306)،

كما فسر الباعث بأنه اشتمال الوصف على حكمة تصلح أن تكون مقصودة للشارع من شرع الحكم كجلب المصلحة، أو دفع المفسدة.

ولما عرف الباعث بذلك يجعله مقبولاً لا اعتراض عليه. فلو لم يفسره بذلك لأحتمل أن يكون هو الحامل للشارع على شرع الحكم، وذلك المعروف بالغرض، فيكون باطلاً، لأن الله تعالى لا حامل له على شرع الحكم سوى إرادته له، فهو يخلق ما يشاء ويختار. (زهير،2009هـ، ص54/ 4/)

وربما سأل سائل ما هي أهمية الرجوع إلى تعريفات العلماء السابقين للعلة أو غيرها من أركان القياس؟ فيمكننا أن نقول رداً على ذلك، إنّ قواعد الأصول لم توضع لزمان دون زمان ولا مكان دون آخر بل وضعت لتظل نبراساً يهتدى بها المجتهدون والفقهاء في كل عصر من العصور، وكل مكان يحتاج أهل العلم والاجتهاد فيه إلى التشريع والنصوص التشريعية في مراحلها المختلفة، التطبيقية، والتفسيرية، ليتم تنفيذها على الوجه الصحيح، وذلك لا يتم إلا بوضع تلك القواعد من علم الأصول نصب الأعين ليعتصم بها من الخطأ، في المراحل كلها.

ومما سبق يتأكد لنا أنّ الذي يقضي في دعوى ماثلة بين يديه بناءً على قضية سبق الحكم فيها، يتحتم عليه النظر ملياً وبعمق، في العلة أي "السبب" أو الوصف الذي كان دافعاً أساسياً في إصدار الحكم السابق، ثم تحققه كاملاً في القضية الماثلة التي يريد أن يلحقها بتلك المحكوم فيها سابقاً، فإذا توافر لديه ذلك وأصبح وجوده واضحاً في الأصل الذي تمثله السابقة وكذلك في الفرع الذي تمثله الدعوى المستجدة، فحينئذ يصبح نقل الحكم من الأصل إلى الفرع واجباً وإلا فلا يصح ذلك النقل والتطبيق، لعدم صحة تحقق علة الحكم في الأصل والفرع معاً. وينتج من ذلك مخالفة القواعد الأصولية التي وضعت للاعتصام من الخطأ في تطبيق الأحكام بناءً على ضوابط القياس الأصولي.

طرق إثبات العلة

لما كانت العلة هي الوصف الذي يصلح أن يكون علة يتعلق بها الحكم لينقل من الأصل إلى الفرع بحيث يتحقق وجوده فيهما يلزم لإثباته في الفرع إثبات طرق معينة بها نستطيع أن نتأكد من وجوده. وإلا حكمنا بعدم نقل الحكم وبالتالي لا تقوم قاعدة القياس في ما تريد من إلحاق المستجدة بالسابقة من تلك القضايا.

فلما كان موضوعنا القضية السابقة باعتبارها الأصل والقضية المستجدة باعتبارها الفرع، فعلينا أن نبحث عن العلة في الفرع بإحدى الطرق التي نص عليها علماء الأصول باعتبارها القانون الذي يضعه المجتهد نصب عينه ليعتصم به من الخطأ.

وقد حدد علماء الأصول تلك الطرق بأنها هي:

النص – الإيماء – الإجماع – المناسبة– السير والتقسيم – تنقيح المناط.

أولاً: النص:

كلمة النص تطلق أحياناً ويراد بها مقابل الإجماع، والقياس وبذلك يعرف بأنه مراد به مقابلة الإجماع والقياس أي: دليل من الكتاب أو السنة. وأحياناً يطلق ويراد مقابلة الظاهر، وذلك يعرف بأنه: ما دل على معناه من غير احتمال بمعنى أنه لا يحتمل غير معنى واحد والمراد هنا المعنى الأول: أي ما قابل الإجماع والقياس لعمومه، ويطلق ويراد به النص القاطع: وهو ما دل على العليّة مع عدم احتمال غيرها وألفاظه: كي، لأجل، من أجل، لعلة كذا، لسبب كذا، لمؤثر كذا لموجب كذا. قال تعالي:

(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) (الحشر الآية :7).

(إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت) (مسلم،1954م، ص1561 /2).

ثانياً: النص " الظاهر" الظني فقد فصله العلماء بخلاف ما سبق أي بخلاف أن يقال لأجل كذا، أو لسبب كذا ولا لكي. وإنما فصلوه إذا كانت الدلالة على العلية بحرف من هذه الحروف مثل:

1. اللام في قوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء الآية :78)) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه الآية :14)

فاللام فيهما وضعت للتعليل، ولكن وردت في استعمالات أخرى غير التعليل كالمِلك والاختصاص والعاقبة.

فالمِلك كقوله صلى الله عليه وسلم (أنت ومالك لأبيك) سنن ابن ماجه باب مال الرجل من مال والده – 769/2، والاختصاص كقولك: (اللجام للفرس).

والعاقبة كقوله تعالى: (فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (القصص الآية :8)

2. الباء كقوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) فالباء تفيد التعليل إلا أنها كثيراً ما تستعمل في الإلصاق. مثل مررت بزيد، والاستعانة مثل: بريت القلم بالسكين. ولذا جعلت من قبيل الظاهر لاحتمال غير العلية.

3. الفاء كقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ(البقرة الآية :232)

4.إنّ: كقوله تعالى: (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا). (نوح: 26،27)

فإنّ المشددة مكسورة الهمزة تفيد التعليل ولكنها استعملت في غيره كثيراً كاستعمالها في تأكيد الجملة يجعلها من قبيل الظاهر الظني لاحتمالها غير التعليل.

ثالثاً: الإيماء:

الإيماء لغة: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب. (ابن منظور،1981م، ص5/415).

إصطلاحاً: عرّف بتعريفين أحدهما:

(اقتران وصف بحكم لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل لكان القِران بعيداً) (زهير،2009م، ص 4/56).

والاقتران يعني الجمع بين الشيئين – سواءٌ أكان الشيئان ذاتين، كالزوج بزوجه، أم بين ذات ومعنى نحو زيدٌ قائمٌ فزيدٌ ذات وقائم معنى قائم به، أم كان الاقتران بين معنى وحكم نحو شرب الخمر حرام للإسكار فالحكم هنا هو الحرمة والمعنى هو الإسكار. وفي المثال الذي يوضح اقتران الوصف بالحكم للدلالة على أنه علة لذلك الحكم. حديثه صلى الله عليه وسلم في شأن الهرة (إنها من الطوافين عليكم والطوافات) سنن ابو داوود،1988، ص1/19).

فالوصف المعنى هنا هو الطواف واقترن بالحكم وهو الطهارة التي سئل عنها – صلى الله عليه وسلم – فإذا لم يكن الطواف علة للطهارة لأصبح اقترانه بالحكم بعيداً حيث يجعل السؤال خالياً من الجواب. وذلك بعيدٌ عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما نظير الوصف واقترانه بنظير الحكم للدلالة على علية النظير بالنظير فمثاله، ما ورد في الصحيحين أن امرأة قالت: يا رسول الله، إنّ أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ فقال أرأيت لو كان على أمّك دين فقضيته أكان ذلك يؤدى عنها؟ قالت: نعم، قال فصومي عن أمك فدين الله أحق بالأداء (صحيح مسلم – باب قضاء الصيام عن ميت – حديث رقم 1148)

فنجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحديث قرن بين دين العباد الذي هو واجب الأداء وبين أدائه عمن أُديَ عنه، وذلك نظيره في الحديث الصوم الذي حقه تعالى وصيام ابنتها عنها، ونظير الحكم وهو الأداء عن الأم التي نذرت – وبه يتضح من اقتران الدين الأول بالأداء أن أداء الصوم من الابنة عن النذر الذي نذرت به الأم علّة ذلك الحكم وهو جواز الصوم عن الميتة.

ومع أن هناك ثمّة تعريفات عرف العلماء الأصوليون بها الإيماء إلا أنني أرى ذلك التعريف يكفي ويفي بما نحتاجه في هذا البحث.

رابعاً: الإجماع:

أولاً تعريفه لغة: العزم. قال تعالى: (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ(يونس: 71)

إصطلاحاً: هو اتفاق المجتهدين من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على أمر من الأمور. (القرافي، 1973، تنقيح الفصول 253)

ذلك هو التعريف الأصولي للإجماع باعتباره الدليل الثالث بعد الكتاب والسنة في الأدلة الشرعية، وذكره في طرق إثبات العلة ينحصر في إجماع الأمة على أن الوصف المجمع عليه كان سبباً في الحكم الشرعي. فإذا راجع المجتهدون على ذلك فيكون ذلك حُجة على تعلق الحكم بالوصف المذكور بحيث لا يجوز أن يعلق الحكم في المسألة بغير ذلك الوصف الذي ثبت الإجماع عليه.

وللاستفادة من ذلك في تطبيق هذا الطريق على السابقة القضائية باعتباره الاصل المقاس عليه. والقضية التي يراد قياسها على الاصل " التي تمثل الفرع المقيس "، فيمكن أن ينظر إلى الوصف الذي كان سبباً في إصدار الحكم الأول إذا نظره قضاة متعددون، فيكون اتفاقهم على أن سبب الحكم السابق هو وصف معين " علة " ووجد ذلك الوصف بعينه في القضية المقيس عليها، فيلزم تطبيق ذات الحكم عليها نسبة لوجود العلة في الفرع كما وجدت في الأصل.

ونشير هنا إلى استخدام كلمة الاتفاق بدلاً من الإجماع، لأن الغالب في السوابق القضائية لا ينظرها كل المجتهدين في العصر، وإنما ينظرها قضاة الدائرة المختصة بالمحكمة العليا.

مثاله عند الأصوليين: إجماعهم على أن علة تقديم الأخ الشقيق في الميراث على الأخ لأب هي امتزاج النسبين أي (نسب الأم والأب). فثبتت العلية بذلك.

طرق إثبات العلة المستنبطة

أ. المناسبة:

تعريفها لغة: الملاءمة. كقولنا الثوب الأبيض مناسب للصيف أي ملائم له.

اصطلاحاً: قد عرفه الأصوليون بتعريفات متعددة منها: أنه وصف ظاهر منضبط يحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه ما يصلح أن يكون مقصوداً من جلب منفعة أو دفع مضرة. (زهير،2009م، ص 4/70)

فالظاهر يعني الذي لا خفاء فيه، والمنضبط يعني الذي لا يتغير بتغير الأشخاص والأزمان والأمكنة فلا ضرار فيه.

فالمثال الذي ينطبق عليه هذا التعريف الإسكار فإنه وصف لا خفاء فيه، ومنضبط لا اضطراب فيه ويحصل عقلاً من ترتيب الحكم عليه وهو "التحريم" والمصلحة منه حفظ العقول والمفسدة هي زوال العقول. كما عرف أيضاً بآخر ربما اختلف منه لفظاً واتفق معنى. وهو "ما يجلب للإنسان نفعاً أو يدفع عنه ضراراً". (البيضاوى، المنهاج، ص3/54)، وذلك لا يحتاج إلى شرح لوضوح المعنى.

ومثال المناسب هو القتل العمد العدوان والزنا والسرقة – فالأول وصف يجلب منفعةً وهي حفظ النفوس بشرع القصاص، والثاني يجلب منفعة وهي حفظ الأنساب بشرع حد الزنا، والثالث يجلب منفعة وهي حفظ المال بشرع الضمان وقطع اليد – وغير ذلك من الأمثلة التي يمكن أن تصلح لهذا التعريف.

وذلك ما ذكره أهل الأصول في الأحكام التي شرعت بسبب تلك العلل بحسب قواعد الأصوليين أما في مجال تطبيق ذلك على السوابق فيمكن أن نقول عند البحث عن العلة بين الأصل "السابقة " والفرع القضية المستجدة، فيمكننا أن نصل للجامع بينهما بالمناسب التي رتب عليها حكم الأصل. وعندما نجده في المستجدة بتلك الأوصاف بمعنى أنه جلب منفعة أو دفع مفسدة. فلا نتردد في تطبيق الحكم السابق على المستجد عند تحققه فيهما.

ب. السبر والتقسيم:

السبر والتقسيم: وهو مركب من كلمتين يلزم تعريفهما من حيث اللغة، أولاً ثم من حيث المصطلح الأصولي.

فالأول السبر – يعني البحث والاختبار – والتقسيم جمع الأوصاف التي يظن كونها علة في الأصل والترديد بينها.

أما الاصطلاح فالسبر والتقسيم: هو جمع الأوصاف التي يظن كونها علة في الأصل ثم اختيارها بإبطال ما لا يصلح منها للعلية فيتعيّن الباقي للتعليل. (الشوكاني،1417هـ ص 2/124)

الذي نشير إليه هنا أن البحث عن سبب الحكم في السابقة قد يكون محتاجاً إليه المجتهد "القاضي" في تطبيقه على أخرى ولا يمكن الوصول إليه إلا بحث عنه بهذا الطريق فإذا غلب عليه أنه هو أصدر حكماً بالموافقة في اللاحق بالسابق.

ج. الطرد:

الطرد: هو الوصف الذي لم يكن مناسباً، ولا مستلزماً للمناسب، إذا كان الحكم حاصلاً مع الوصف في جميع الصور المغايرة لمحل النزاع. (الشوكاني، 1417هـ2/128).

والعلة أو الوصف الثابت بهذا الطريق يسمى بالطردي ويعرف فقط بأنه مقارن للحكم، ولا مناسبة بينه وبين الحكم لا بالذات ولا بالتبع.

ومثاله كتعليل الشافعي: الخل مائع لا تبنى على جنسه قنطرة، فلا تزال به النجاسة، كالدهن فالدهن أيضاً لا تزال به النجاسة. (أبو النور زهير، اصول الفقه 95/4).

وبذلك أشير إلى أنه يمكن البحث عن علة الحكم في السابقة القضائية بهذا الطريق الأصولي. إذا اطردت سوابق وتكررت وسبب الحكم كان وصفاً، ومن ذلك القبيل أي لا مناسبة بينه وبين الحكم إلا بالذات ولا بالتبع ولكن الحكم معه وجوداً وعدماً بغير مناسبة.

د. طرق المناط

أولاً: تنقيح المناط:

عرف علماء الاصول تنقيح المناط بطرق مختلفة، ولكن إن اختلفت ألفاظها فقد اتحدت مدلولاتها ومنها: هو " بذل الجهد في تعيين العلة من بين الأوصاف التي أناط الشارع الحكم بها، إذا ثبت ذلك بنص أو إجماع، وذلك بحذف مالا دخل له في التأثير. بأن يجمع المجتهد الأوصاف التي أناط الشارع بها الحكم، ثم يستبعد كل الأوصاف التي لم تثبت بنص أو إجماع. ويبقى ما ثبت بواحد منهما باعتباره علة الحكم.

ثانياً: تحقيق المناط

وهو قيام الدليل على أن علة الأصل المتفق عليها بين المعترض والمستدل موجوده في الفرع سواء كانت العلة في الأصل منصوصة أو مستنبطة، فقيام الدليل على أن تلك العلة موجودة في الفرع كما هو في الأصل يعتبر تحقيقاً للمناط.

ثالثاً: تخريج المناط

وهو استنباط علة معينة للحكم بأي طريق من طرق استنباطها، كالمناسبة مثلاً، أو السبر والتقسيم وهو خاص بالعلل المستنبطة. (ابو النور زهير – 99/4).

نجد مما سبق من تلك التعريفات أن تنقيح المناط خاص بالعلل المنصوص عليها، بينما تخريج المناط خاص بالعلل المستنبطة فقط، وأما تحقيق المناط فهو عام في النوعين. (زهير2009م، ص 4/100).

وكل تلك الطرق التي مر ذكرها يمكن تطبيقها في البحث عن علة الحكم في تطبيق السوابق القضائية عند الاستفادة منها للحكم على قضية مستجدة إذا وجدنا أن العلة في السابقة القضائية قد تحققت في هذه الماثلة أمامنا ومما يؤكد ذلك يمكن أن نذكر فيما يلي سوابق قضائية تم القياس عليها في قضية تطابقت علة الحكم فيها مع تلك السوابق. لذا نجد أن قضاة المحكمة العليا لم يجدوا بداً من إنزال ذلك الحكم السابق الذي يمثل حكم الأصل "السوابق" على الفرع "القضية المستجدة " وذلك كما يلي:

تطبيق قاعدة القياس في السوابق القضائية

الأطراف:

ورثة أونسى عبد الكريم الطاعنون

/ ضد /

حميدة عثمان حسون وأخر المطعون ضدها

النمرة: م ع / ط م / 420 1992م

أعلاه تمثل الفرع الذي يراد قياسه على الأصل.

المبادئ: قانون تسوية الأراضي وتسجيلها لسنة 1925م – انتقال ملكية الأرض للمشتري يتم بالتسجيل (المادة "14 من قانون تسوية الأراضي وتسجيلها).
في حالة تزاحم عدة مشترين من مالك العقار المبيع تكون الأفضلية لمن يسبق منهم غيره في تسجيل عقده.
إن مجرد علم المشتري الذي يسجل عقده في وجود تصرف سابق غير مسجل لا يؤثر في تسجيله ولا يبطل بيعه بمقولة أنه مشتر سيئ النية أو كان متواطئاً مع البائع هذا هو رأي الفقه المصري وهو لا يختلف عما انتهى إليه الرأي الراجح فقهاً وقضاءً في السودان.
ففي قضية مصعب عبد الوهاب السراج / ضد / بخيت فضل السيد (مجلة الأحكام القضائية 1977، ص318) جاء في حكم المحكمة العليا ما يلي:

"تنتقل الملكية في العقار بالتسجيل بموجب المادة 14 من قانون تسوية الأراضي وتسجيلها وليس بالاتفاق على البيع حيث أن الاتفاق ينشئ التزاما شخصياً فقط يوجب الحكم بالتعويض".

وفي قضية عبد الماجد الأغبش / ضد / الأغبش محمد الحسن (مجلة الأحكام 1976، ص351)، جاء في حكم المحكمة العليا ما يلي: "عقد البيع ينشئ التزاماً بتنفيذه ولا ينقل ملكية العقار التي لا تنتقل إلا بتسجيل العقد فالمشتري لا يصبح مالكاً للعين المبيعة ما دام البيع لم يسجل".

وفي قضية حسن بابكر حدربي / ضد / سليمان أحمد سليمان، (مجلة الأحكام 1982، ص270)، جاء في حكم المحكمة العليا ما يلي: "العبرة في نقل ملكية العقار المسجل في حالة تزاحم المشترين من بائع واحد بالتسجيل وليس بواقعة الشراء ولذلك فإنّ المشتري الذي يسارع في تسجيل العقار باسمه يكون أحق من غيره ولو كان بيعه لاحقاً لبيع الآخرين".

ففي تلك القضايا المنصوص عليها من الأولى والثانية والثالثة تمثل الأصل الذي سيقاس عليه الفرع

وقضية ورثة أونسى عبد الكريم ضد حميده عثمان حسون وهي التي سيلحق بها حكم الأصل.

أما حكم الأصل فهو قرار المحكمة والذي مفاده عدم نقل الملكية بموجب الشراء فقط.

نص قاضي المحكمة العليا.

الحكم:

القاضي: الصادق عبد الله

التاريخ: 1992/7/16م

بعد سماع الدعوى وجدت أن البيع لم يتم وحتى إذا تم لا يصح حيث أنه جاء مخالفاً للمادة 615 (1) معاملات لعدم كتابته كما أن البيع في حالة حدوثه لم يسجل مخالفاً بذلك المادة (54) من قانون تسوية الأراضي وتسجيلها وأن الهبة قد سجلت بالفعل يضاف إلى ذلك الحيازة لمورث المدعين لا تتفق وحكم المادتين (2) 634 و649 (3) معاملات.

ولدى استئناف الطاعنين شطبت محكمة استئناف الولاية الشمالية الطعن حيث أن المستندات لا تثبت انعقاد مبايعة بين الطرفين. وحتى إذا فرض انعقاد البيع فإنه يقع باطلاً إعمالاً لنص المادة 615 (2) من قانون المعاملات المدنية لسنة 1984م.

أما من جهة القانون فالطعن لم يبين لنا كيف خالفت المحكمتان أول وثاني درجة القانون ذلك أن تطبيق محكمة الاستئناف للمادة 615 قد جاء في محله فالطاعن لا ينكر أن المبايعة لم تكن مكتوبة وقد سبق لمحكمة الموضوع إن طبقت المادة نفسها ووجدت أن حيازة مورث المدعين لا تتفق مع المادتين (2) 634 و649 (3) من قانون المعاملات والطعن لا يكشف لنا عن وجه الخطأ في تطبيق المحكمتين لهذه المواد ولذلك فإننا نرى أن هذا الطعن لا أمل فيه ويتعين لذلك شطبه وعليه

أمرنا بما يلي:

يشطب الطعن إيجازياً، أما القاضي – على يوسف الولي فقد وافق على ذلك القرار بتاريخ 1992/8/10م وقال:

لقد نص القانون وجرى وتواتر واستقر القضاء على قاعدة أن عقد بيع العقار لا ينقل ملكية العقار إلا بعد تسجيله ولا يعتبر مشترى العقار تسلم – حكماً – ذلك العقار إلا بعد تغيير السجل من اسم البائع إلى اسمه.

فالمادة 28 من قانون تسوية الأراضي وتسجيلها لسنة 1925م نصت على اعتبار التصرفات الناقلة لملكية العقارات والتي لا يتم تسجيلها باطلة ولا أثر لها.

وفي قضية مصعب عبد الوهاب السراج / ضد / بخيت فضل السيد (مجلة الأحكام القضائية،1977م ص 318)، قضت المحكمة العليا أن الملكية تنتقل في العقار بالتسجيل بموجب المادة 54 من قانون تسوية الأراضي لسنة 1925م وليس بالاتفاق على البيع ولذلك فإن مجرد الاتفاق على البيع ينشئ التزامات شخصية فقط توجب الحكم بالتعويض عند الإخلال وأن مبادئ العدالة تقتضي تغليب مصلحة من سجل بيعه على مصلحة المشترى الأول الذي لم يسجل بيعه.

وفي قضية عبد الماجد الأغبش / ضد / الأغبش محمد الحسن (مجلة الأحكام القضائية سنة 1976م ص351)، قضت المحكمة العليا بأن عقد البيع ينشئ التزاماً بتنفيذه ولا ينقل ملكية العقار التي لا تنتقل إلا بتسجيل العقد فالمشتري لا يصبح مالكاً للعين المبيعة ما دام البيع لم يسجل والمشتري الذي يسجل عقده يصبح مالكاً للعقار دون الآخرين وأن مبادئ العدالة تقتضي تغليب مصلحة من قام بما يتطلبه القانون ويسجل البيع على مصلحة المشتري الأول الذي لم يسجل بيعه وقالت المحكمة العليا في تلك السابقة على ص 353-354 ما يلي:

وفي قضية حسن بابكر حدربي / ضد / سليمان أحمد سليمان (مجلة الأحكام القضائية سنة 1982م ص 270)، قضت المحكمة العليا بأن العبرة في نقل ملكية العقار المسجل في حالة تزاحم المشترين من بائع واحد بالتسجيل وليس بواقعة الشراء ولذلك فإن المشتري الذي يسارع في تسجيل عقاره يكون أحق من غيره ولو كان بيعه لاحقاً لبيوع الآخرين.

السداد لخزينة الدولة للمشاركة في ازدهار الاقتصاد الوطني وكما قصد المشرع من وراء ذلك أيضاً وقف أية تلاعبات في بيع العقارات بتعدد المشترين

ولكن عقد البيع موضوع هذه الدعوى التي بين أيدينا ثابت أنه لم يسجل لدى مكتب التسجيلات ولم يغير المشتري سجل العقار من اسم المالك المسجل في اسمه إلى اسم المشتري وذلك طبقاً لقانون تسوية الأراضي وتسجيلها سنة 1925م على فرض أن العقد موضوع هذه الدعوى التي بين أيدينا أنه أبرم فهو باطل لا ينتج أثره الذي من أجله أبرم وهو انتقال ملكية العقار موضوع النزاع لأنه غير مكتوب وغير موثق وغير مسجل.

نص قاضي المحكمة العليا.

إسماعيل عطية موسى – بتاريخ 1992/8/18م والذي جاء ضمن قراره:

إن التصرف في العقار المملوك العين للدولة لا يصح إلا إذا تم تسجيله. ويقع باطلاً كل تصرف غير مسجل.

ثم ذكر قائلاً: (أوافق الزملاء على شطب الطعن لأنّه لا أمل في نجاحه).

وبالنظر إلى تلك السوابق التي تمثل الأصل وهي:

الأولى: مصعب عبد الوهاب السراج // ضد // بخيت فضل السيد (مجلة الأحكام القضائية "1977" ص318)

الثانية: عبد الماجد الأغبش // ضد // الأغبش محمد الحسن (مجلة الأحكام القضائية "1976" ص351).

الثالثة: حسن بابكر حدربي // ضد // سليمان أحمد سليمان مجلة (الأحكام القضائية "1982" ص270).

نجد أن القضاة – في القضية التي تمثل الفرع وهي:

" ورثة أونسى عبد الكريم الطاعنون // ضد // حميده عثمان حسون وآخر- المطعون ضدهما

النمرة – م ع / ط م / 1992/420م

فقد جاء حكمهم – جميعاً بشطب الطعن بعد توصلهم جميعاً إلى أن العقد الذي يعتمد وينتج أثره ويصبح له الأحقية في الحكم هو الذي سبق صاحبه إلى تسجيل العقار وبهذا يكون علةً للحكم بشطب دعوى الطعن إلحاقاً لها بالسوابق التي تم نصهم عليها.

أما العلة التي كانت سبباً في الحكم بحسب ما يظهر للمتأمل يبدو أنها هي عدم تسجيل العقار الذي كان سبباً في عدم نجاح الطعن الأول في تلك القضايا الأصل، وقد ثبتت هنا بطريق النص القانوني.

وبناءً على ما تقدم من تلخيص تلك الدراسة ووفقاً لتعريف القياس عند الأصوليين ولأهميته القصوى في عملية الاجتهاد ولبناء الفروع على الأصول وخاصة في المسائل التي لا يوجد فيها نص نستطيع أن نخلص إلى أن أركان القياس قد توافرت كاملة هنا فالأصل الذي نحتاج أن نقيس عليه فهو متوافر بحسب المبادئ المشار إليها انفا.

أما الفرع الذي يراد إلحاق حكم الأصل به فهو القضية المذكورة اعلاه.

وأما حكم الأصل فهو المنصوص عليه في كل من القضايا التي اعتبرت الأصل وهو شطب الطعن ضد المطعون ضدها.

وأما سبب الحكم (العلة) فهو ظاهرٌ ومنضبطٌ ومتعدٍ إلى الفرع وهو أن الملكية لا تنتقل (قانوناً) بمجرد الشراء ما لم يسجل المشتري العقار وعند تزاحم المشترين فالمصلحة الغالبة تكون لمن سبق غيره بالتسجيل، وأما مجرد عقد الشراء ينشئ التزاماً يوجب التعويض فقط.

خاتمة:

الحمد الله أن جعل لنا من القدوة الصالحة من إذا استهدينا بهم عصمنا من الزلل، وسلمت حياتنا من عظيم الخلل، وكل ذلك بفضل منه علينا بأن جعلنا في أمة سيد الملك وخاتم المرسلين، خير من أحسن وأتقن العمل سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وتمسك بنهجه إلى يوم اللقاء والحشر تحت اللواء.

أما بعد

ففي ختام هذه الدراسة وبعد الاختصار الذي آمل أن يكفي للفت النظر إلى الموضوع (تطبيق قاعدة القياس الأصولي على السوابق القضائية كأصل يقاس عليه الفروع من القضايا المستجدة التي يمكن إلحاقها بذات الأحكام السابقة، إذا وجدت الأسباب والأوصاف التي بنيت عليها بين كل من الأصل والفرع) ويمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط الآتية:

1. قواعد الأصول توفر الكثير من جهد الباحثين في تفسير النصوص القانونية ودلالاتها ومفهومها بين السابق واللاحق.

2. تمثل أركان القياس الأصولي وشروطها علماً لا يسع القاضي تجاهله وإلا سيكون عرضةً للخطأ الفاحش مما يترتب عليه ضياع الكثير من الحقوق.

3. ضرورة الاستفادة من أهل العلم والشأن والخبرة المطمئنة التي يتمتع بها القضاة في المحكمة العليا.

4. اتفاق عدد من أهل القانون والقضاء على سبب حكم معين وتنزيل ذلك الحكم عليه يجعل المطبق على حكمهم أقرب إلى الصواب من غيره.

5. كل حكم صدر في السابقة التي تقاس عليها المستجدة لا بد من عله (وصف مناسب) يمكن التوصل إليها بالنص، أو الاجتهاد.

التوصيات:

1. زيادة العكوف على إعادة إعمال القواعد الأصولية في مجالات القانون المختلفة بدءاً بتشريعه وتفسيره وانتهاءً بتطبيقه.

2. إمعان النظر وفقاً لقواعد القياس والاهتمام أكثر في البحث عن عله الحكم بكل الطرق التي حددها علماء الأصول – من النص وحتى تنقيح المناط.

3. التركيز علي علم أصول الفقه في أثناء تدريب الأجهزة التشريعية والعدلية في أطوارها وأدوارها المختلفة باعتبارها القانون الذي يعتصم به من الخطأ لخطورة ما يترتب على مخالفته من ذهاب الحقوق والواجبات للأفراد والجماعات والدول.

المصادر المراجع:

القران الكريم.

ابن السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (1964م). طبقات الشافعية الكبرى. تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح بن الحلو ط، عيسى الحلبي.

إبن حزم، الحافظ أبو محمد علي بن حزم الظاهر (1405هـ)، الإحكام في أصول الأحكام الطبعة الاولي.

ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد، (1398هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبنا الزمان، دار صادر، بيروت.

ابن ماجه، أبو عبيده محمدبن يزيد ،1981م، سنن أبن ماجه، ط تركيا.

ابن منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، 1981م، لسان العرب، دار صادر.

أبو داؤود، سليمان بن الأشعث،1988م، سنن أبو داؤود، دار الكتاب العربي، بيروت

الآسنوي، الإمام جمال الدين عبد الرحيم، 1982م، نهاية السول في شرح منهاج الأصول للقاضي البيضاوي، مطبعة عالم الكتب.

البخاري، محمد بن إسماعيل،1423هـ، الجامع الصحيح.

الترمذي، الحافظ أبو عيسى، 1424هـ، سنن الترمذي دار الكتب العلمية مع تحفة الأحوذي.

الدار قطني، أبو الحسين علي بن أحمد،1990، سنن الدار قطني، دار الكتب العلمية، دون تاريخ

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر أبو الحسن،1992م، المحصول في علم الأصول تحقيق صابر وقياس، مؤسسه الرسالة الطبعة الثانية.

الرهوني، يحي بن موسي، 1406هـ، منتهي السول، الإحكام في أصول الأحكام، الطبعة الأولي.

زهير، محمد أبو النور، 2009م، أصول الفقه، المكتبة الأزهرية للتراث.

زيدان، عبد الكريم، 1976م، الوجيز في أصول الفقه.

السبكي، علي بن عبد الكافي وولده عبد الوهاب، 1404هـ، الإبهاج في شرح المنهاج علي منهاج الوصول للقاضي البيضاوي، دار الكتب العلمية الطبعة الأولي.

الشوكاني، الإمام محمد بن علي (1417هـ). إرشاد الفحول الي تحقيق الحق من علم الأصول. دار الفكر، مكتبه نزار. الطبعة الأولي

الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، المستصفي،1417هـ، مؤسسة الرسالة

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، 2010م، القاموس المحيط، دار الفكر

القرافي، شهاب الدين أحمد بن ادريس،1973م، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول من علم الأصول، دار الفكر الطبعة الأولي.

مجلة الأحكام القضائية 1992م. تصدر من المكتب الفني- السلطة القضائية، جمهورية السودان.

مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري،1954م، صحيح مسلم، دار إحياء التراث، ط دار الجيل

النسائي، أحمد عبد الرحمن بن شعيب، 1420هـ، دار المعرفة، شرح الحافظ السيوطي الطبعة الخامسة.

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

كفاءة أساليب إدارة النفايات الصلبة المنزلية
(تجربة مدينة عطبرة ـ السودان)

محمد يحيى أحمد الحاج

قسم الجغرافيا- كلية التربية- جامعة وادي النيل

المؤلف: mnouz88@yahoo.com

المستخلص

تناولت الورقة موضوع الكفاءة في إدارة النفايات الصلبة المنزلية في المدن خاصة المدن السودانية التي اصبحت في العقد الاخير تتضخم سكانيا وعمرانياً، مما تسبب في كثير من المشكلات البيئية. ولم يواكب ذلك اهتمام كافٍ من السلطات المحلية والولائية من حيث توفير المعينات المادية والبشرية. ومن أهم أهداف الورقة هي التعرف على تجربة مدينة عطبرة في مجال إدارة النفايات بصورة عامة والمنزلية الصلبة بشكل خاص، بالإضافة الى معرفة الأسس العلمية الصحيحة التي يجب اتباعها لمعالجة الموضوع. وتكمن المشكلة في عدم الاهتمام الرسمي على مستوى الدولة لاعتبارين: الأول الانعكاسات المباشرة والسريعة للمشكلات المترتبة على ذلك، ثانياً أن عملية إدارة النفايات مسئولية أصيلة للسلطات المحلية. ومن أهم المناهج والأساليب التي استخدمت هي اسلوب التحليل الوصفي والتحليل الاحصائي وذلك لمعرفة الاسباب الكامنة لمشكلة البحث، أما أهم الأدوات فكانت الملاحظة من خلال العمل الميداني، والاستعانة بالاستبانة كأداة فاعلة لإكمال حلقة مهمة في مشكلة الدراسة، بالإضافة للمقابلة التي ترتبط أكثر بالمسؤولين او القطاع الرسمي. وتوصلت الدراسة الى نتائج نعتقد أنّها تكشف جوانب غير مرئية، وتساهم في حل المشكلة، ومن أهمها قلة الامكانات المادية والبشرية المستخدمة، بالإضافة لضعف تدريب العاملين، ثم بدائية أسلوب العمل، وهناك نتيجة هامة وهي قلة الوعي البيئي لدي المواطنين. أما أهم التوصيات فتتمثل في الاستعانة في بداية المشروع ببيوت خبرة لتدريب العاملين، والعمل على نشر ثقافة صحة البيئة، وإشراكهم بصورة مباشرة.

الكلمات المفتاحية: النفايات الصلبة، نفايات خطرة، ادارة نفايات، مشروع نظافة عطبرة.

Efficient Management of Household Solid Waste

(Atbara City Experience)

Mohammed Yahia Ahmmed Elhag

Dept. of Geography, Faculty of Education, Nile Valley University

Abstract:

This paper tackled the efficiency of household solid waste management in Sudanese cities who have recently became overpopulated and urbanized in the last decade, which caused many environmental problems. That development was followed in tandem by the local authorities, where there is no providing for financial and human supports. One of the paper's aim is to know Atbara's experience in dealing with that issue, especially solid waste of household. This is beside knowing the scientific principles that have to be followed to tackle the matter. The problem existence is mainly due to two considerations. The direct and instant reflections that result from the problem, and the second is that waste removal is a primarily authority's responsibility's in the target locality. Methods that were used for data collection and analysis are the descriptive analytical as well as the statistical method. This is besides the observation tool through the field work. A questionnaire and an interview were also implemented as extra tools. The study concluded that there is a lack of financial and human resources that are being used besides lack of environmental awareness and responsibility of the citizens. The most important recommendation is the necessity of making project proven experience for training workers and work on the dissemination of environmental culture.

Keywords: Solid wastes, harmful wastes, wastes management, Atbara cleaning scheme.

مقدمة:

تعتبر مشكلة النفايات من أهم المشاكل التي تواجه المدن في البيئة المعاصرة والتي أصبحت تتفاقم لتصبح في كثير من الحالات في مقدمة القضايا الملحة التي تحتاج إلى حلول عملية للحفاظ على نظافة وسلامة البيئة خاصة النفايات المنزلية لأنها ترتبط بصحة الانسان، وأصبحت مشكلة التخلص من النفايات تستحوذ على اهتمام الكثير من دول العالم.

ويتطلب مواجهتها الكثير من الجهد والمال على المستوي الإقليمي والعالمي. وإنّ التطور الاقتصادي وارتفاع المستويات المعيشية، بالإضافة للعمران المتسارع وتغيير نمط الاستهلاك أدي إلى ارتفاع كمية النفايات خاصة النفايات المنزلية في المدن ذات الكثافة السكانية المرتفعة، وتزداد هذه المشكلة طردياً مع ازدياد السكان والتقدم الحضاري.

تختلف دول العالم بل داخل الدولة الواحدة في أساليب التعامل مع المشكلة، ولكن كيفية قياس مدى كفاءة تلك الاساليب تظل المعضلة التي تواجه المسؤولين عنها. لذلك جاءت الورقة محاولة قياس تلك الاساليب والطرق في ادارة النفايات، لذلك زاد الاهتمام اليوم بقياس الأساليب المستخدمة في ادارة النفايات الصلبة المنزلية في جميع دول العالم لعمليات جمع ونقل ومعالجة هذه النفايات، في حين نجد العديد من دول العالم النامي لا تزال غير مهتمة بهذه المشكلة لأسباب اقتصادية وتقنية، أو حتى لعدم إدراك أهمية هذا الموضوع في حماية البيئة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذ الدراسة في أنّها تتناول موضوع حيويّ ومهم وهو مدى كفاءة إدارة النفايات المنزلية وكيفية التخلص منها، مما يفضي الى أسلوب فاعل مستدام لأنها أصبحت تؤرق المسؤولين والمواطنين. فماهي الأساليب التي تؤدي الى حسن كفاءة إدارتها؟

اهداف الدراسة:

تهدف هذا الدراسة إلى التعرف على الآتي:

- معرفة الأساليب الجيدة لإدارة النفايات المنزلية الصلبة.
- كيفية التخلص من النفايات المنزلية بطريقة علمية.
- كيفية الحد من تفاقم مشكلة إدارة النفايات في المدينة.

فروض الدراسة:

- قلة كفاءة إدارة النفايات المنزلية بسبب قلة المعرفة والخبرة العلمية.
- تقليدية الاساليب الميدانية وبدائية الآليات.
- عدم تعاون من جانب المواطنين لرفع الكفاءة.

منهج الدراسة ومصادر وأدوات جمع المعلومات:

المصادر الأولية:

- الملاحظة: وذلك من خلال زيارات ميدانية بلغت ثلاث زيارات بهدف:

- متابعة الفترة الزمنية لجمع النفايات.
- حصر طريقة الجمع.
- تفاعل المواطنين.
- الاليات المستخدمة.

- المقابلة: شمل ذلك:

- العاملين الميدانيين.
- المسؤولين عن المشروع.

- الاستبانة: صممت الاستبانة بهدف جمع المعلومات من المستفيدين من الخدمة وهم الاسر في الاحياء السكنية المختلفة، وشملت عدة محاور وهي: معلومات شخصية – مستوى الرضا عن الخدمة – اسلوب ادارتها –مستوى التعاون مع المشروع – دور اللجان الشعبية.

المصادر الثانوية: كتب – رسائل جامعية – منظمات دولية – أوراق عمل.

الإطـار النظـري

إدارة النفايات:

تعتبر النفايات المنزلية أحد التحديات المهمة التي تواجه الدول في الوقت الحاضر وذلك لما تشكله من مخاطر على صحة الإنسان، ومن الملاحظ زيادة كميات النفايات المنزلية المتولدة عالمياً وذلك لعدة أسباب، منها الزيادة السكانية في العالم، وظهور أنماط وسلوكيات جديدة والسير نحو التحضر، النفايات المنزلية هي عادة ما تتكون من الورق والكرتون والبلاستيك وفضلات الطعام ومخلفات الحدائق وغيرها من المواد العضوية.

ويمكن تقسيم النفايات إلى ثلاثة أقسام هي:

1. صلبة: مثل رقائق الغبار وفضلات الكائنات الحية.
2. سائلة: مثل الماء كناتج من نواتج العمليات الحيوية.
3. غازية: مثل بخار الماء وأكاسيد الكبريت والكربون والنتروجين.

وإدارة النفايات هي عملية كفاءة ومراقبة وجمع ومعالجة وتدوير أو تخلص من النفايات التي تنتج من قبل نشاطات بشرية وتقوم الدول بهذه العمليةّ لتخفيف الآثار السالبة للنفايات المنزلية على البيئة والصحة والمظهر.

تعريف النفايات:

1. يقصد بها أي من المخلفات الصلبة أو السائلة أو الغازية غير المرغوب فيها الناتجة عن نشاط الإنسان في السكن أو المصانع أو الأماكن العامة أو حظائر الحيوان (السمانى، 2011).
2. تعرف النفايات بأنها ما يخلفه نشاط الإنسان الاقتصادي والاجتماعي ولا توجد في مكانها أو زمانها الصحيح، وهي مصدر من مصادر التلوث الذي ينشأ حيث ما وجد نشاط.
3. عرفت منظمة الصحة العالمية النفايات (Waste) بأنها بعض الأشياء التي أصبح صاحبها لا يريدها في مكان ما ووقت ما والتي أصبحت ليست لها أهمية أو قيمة. كما عرف خبراء البنك الدولي النفاية بأنها بعض الأشياء التي أصبح صاحبها لا يريدها في مكان ووقت ما والتي أصبحت ليست لها قيمة أو أهمية، وعرف خبراء البنك الدولي أيضاً النفاية على أنها شيء متحرك ليست له فائدة مباشرة حالياً ويجب نبذه مؤقتاً.
4. تعرف النفايات الصلبة المنزلية (Domestic solid waste) بأنها المخلفات الناجمة عن المنازل والمطاعم والفنادق ونفايات الشارع والنفايات التجارية (عبد الجواد، 1995).

أقسام النفايات: تقسم النفايات من حيث درجة خطورتها إلى قسمين:

أ/ النفايات الحميدة:

ويقصد بها: مجموعة المواد التي لا يصاحب وجودها مشكلات بيئية خطيرة، ويسهل في الوقت ذاته التخلص منها بطريقة آمنة بيئياً. وتشمل النفايات المنزلية والمحلات التجارية ونفايات المصانع غير الخطرة.

ب/ النفايات الخطرة:

فهي النفايات التي تشتمل مكوناتها على مركبات معدنية ثقيلة أو إشعاعية أو مذيبات عضوية مهجنة أو أسبستوس أو مركبات فسفورية عضوية أو مركبات السيانيد العضوية أو والفينول أو غيرها (غنيمى، 1997).

طرق جمع النفايات والتخلص منها:

هنالك ثلاثة أساليب رئيسة لجمع النفايات الصلبة وهي:

- طريقة التفريق المباشر: وهي أكثر الطرق انتشاراً على الإطلاق في جميع أنحاء العالم حيث يتم تفريغ الحاوية في عربة النقل ومن ثم تعاد الحاوية إلى مكانها، وتقدر سعة الحاوية بحوالي 110 لتر. وتصنع من البلاستيك المقوي بمواصفات موحدة لتسهيل عملية تفريغها وتخفيف وزن الحاويات.
- طريقة تبديل الحاوية المعبأة بحاوية خالية وهذه الحاويات تكون كبيرة ذات سعة تتراوح ما بين 85-40 لتر^3 ومجهزة في بعض الحالات بجهاز لضغط النفايات.
- طريقة الأكياس الورقية والبلاستيكية وتكون بأحجام مختلفة لا تزيد سعتها عن 100 لتر (غرابية والفرحان، 2002).

طرق التخلص من النفايات الصلبة:

- دفن المخلفات في باطن الأرض: وتقوم هذه الطريقة على تجميع المخلفات والقمامة في أماكن بعيدة (خارج نطاق المدن)، حيث يتم ضغطها بواسطة مكابس ضخمة وتوضع في حفر ثم تدفن فيها وتغطي بعد ذلك بالتراب ولكن هذه الطريقة لها عدة عيوب منها: 1- عدم صلاحية تلك الأراضي لإقامة مباني أو منشآت عمرانية عليها .2- أن سقوط الأمطار فوقها يؤدي إلى تسرب الأمطار إليها وتذويب القمامة.

- حرق المخلفات الصلبة: بعض الدول تتخلص من هذه النفايات الصلبة عادة بحرقها في أطراف المدن أو في القرى، وهي من الوسائل الشائعة في معظم الدول النامية، وفي هذه الحالة تسبب تلوثاً خطيراً للبيئة.

- إعادة استخدام المخلفات الصلبة: تدوير النفايات (إعادة استخدامها) تساعد هذه الطريقة على تقليص كمية المخلفات المطلوب التخلص منها فتصبح لهذه المخلفات قيمة اقتصادية عند إعادة استخدام كثير منها. وتعتمد هذه الطريقة على فصل مكونات المخلفات كلٍّ على حدة (عبد الخالق، 2007).

العوامل التي تؤثر على كفاءة إدارة النفايات الصلبة المنزلية

هنالك عوامل عديدة تؤثر في التكلفة الاقتصادية وكفاءة إدارة النفايات الصلبة أهمها ما يلي:

- عدد العمال العاملين وتكلفة العامل الواحد.
- نوعية وسعة حاويات الجمع فإذا كانت الحاويات المستعملة موحدة المواصفات فإنها تسهل على الإدارة عملية الجمع بكفاءة أكبر مما لو كانت الحاويات المستعملة متباينة في مواصفاتها.
- نوعية وسعة عربات النقل المجهزة بجهاز ضغط النفايات لهدف تقليل حجمها وزيادة كمية النفايات المنقولة في المرة الواحدة.
- المسافة المقطوعة من أماكن الجمع إلى أماكن المعالجة وكل ما زادت المسافة زادت النفايات المتسربة إلى الطريق العام.
- تؤثر كثافة المرور خاصة على جمع ونقل النفايات الصلبة وتقلل من فعاليتها (غرايبة والفرحان، 2002م).

شكل (1): يوضح التسلسل الهرمي لإدارة متكاملة للنفايات

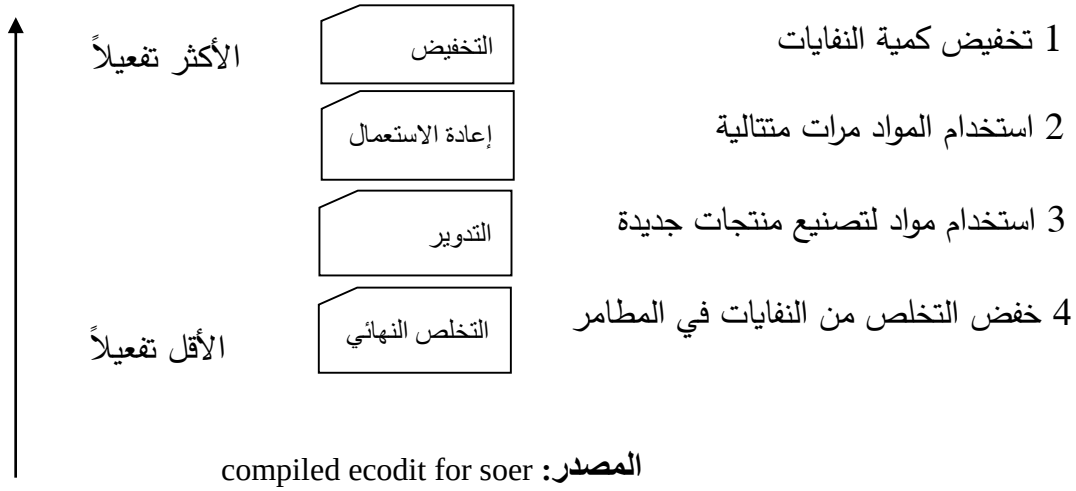

المصدر: compiled ecodit for soer

3- الخصائص الجغرافية لمنطقة الدراسة:

الخصائص الطبيعية:

تقع مدينة عطبرة فلكياً بين دائرتي عرض 17° - 42° شمالاً وعلى خط طول 33° - 59° شرقاً، كما يحد مدينة عطبرة من جهة الغرب نهر النيل ومن جهة الجنوب نهر عطبرة ومحلية الدامر ومن جهة الشمال محلية بربر، وتبلغ مساحة مدينة عطبرة حوالي 72 كلم، وتقع مدينة عطبرة عند ملتقى نهر عطبرة بنهر النيل (احمد الحاج، 2005).

سطح مدينة عطبرة يبدو شبه مستوي، خاصة أن المدينة تقع على الضفة اليمنى لنهر عطبرة وهي منطقة مسطحة لا يزيد ارتفاعها عن 360 متر فوق سطح البحر، بينما المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية التي تشرف على المدينة في شكل حافة هضيبة تحيط بالمدينة يتجاوز فيها الارتفاع 380 متر فوق سطح البحر، وتختلف التربة في مدينة عطبرة باختلاف المناطق، فالمناطق التي تحازي النيل نجد تربتها طينية خصبة صالحة للزراعة والمناطق التي تبعد عن النيل تربتها رملية (احمد الحاج، 2005).

واستناداً على تصنيف كوبن المناخي نجد إن مدينة عطبرة تقع في منطقة الإقليم الصحراوي شمال السودان الحار الجاف وهو أقرب إلى الإقليم شبه الصحراوي من ناحية الجنوب وذلك لتعامد الشمس عليه مرتين في العام، ويقع تحت تأثير أشعة الشمس (التوم، 1974).

السكان: التوزيع والحجم والنمو

احتلت عطبرة المركز السادس في تعداد64- 1965 م. بعد عشر سنوات ارتفع العدد إلي 48.20 نسمة بزيادة قدرها 11.952 نسمة أي ما يعادل 14.1%، واحتلت المركز السابع عام 1973م وبلغ عدد سكانها 66.116 نسمة بزيادة قدرها 17.866 نسمة أي ما يعادل 21.1% وظلت المدينة تجذب إليها أعداداً متزايدةً من السكان في تلك الفترة.

أما تعداد عام 1983م فبلغ عدد سكانها 72.919 نسمة بزيادة قدرها 6.803 نسمة فكانت مدينة عطبرة ليست مركزاً للجذب السكاني نسبة لضيق فرص العمل بها في تلك الفترة، والتي تنحصر بصورة واضحة في ورش السكة الحديد والخدمات المتعلقة بها، وهي بداية تدهور هيئة السكة حديد. أما تعداد 1993م فاحتلت المدينة المركز الثامن وبلغ سكانها 96.561 نسمة منهم 49.383 ذكوراً و 47.178 إناثا بزيادة قدرها 23.642 نسمة أي ما يعادل 27.9%. وفى تعداد السكان خلال عام 2008 بلغ عدد السكان 112.226 نسمة.

ويتوزع سكان مدينة عطبرة على 32 حي سكني مع ملاحظة خلو منطقة السوق التجاري من الوحدات السكنية. ويلاحظ ان منطقة عطبرة شمال هي أكبر المناطق سكاناً حيث يبلغ عددهم 51.580 نسمة أي ما يعادل 46% من مجموع سكان المدينة، أما منطقة عطبرة وسط فيبلغ عدد سكانها 37981 نسمة، أي بنسبة 33.9% من المجموع الكلي للمدينة، وتشمل أحياء حي الوحدة، ثم تليها حي الشرقي جنوب ويبلغ عدد السكان 4062 نسمة ثم حي المزاد شمال. تعتبر عطبرة جنوب أقل المناطق ازدحاماً إذ يبلغ عدد سكانها 22665 نسمة، أي تمثل نسبة 20.1% من مجموع سكان مدينة عطبرة (التعداد القومي، 2010).

واقع النفايات في مدينة عطبرة:

تمت إجازة قانون صحة البيئة للعام 2004م للعمل في محليات الولاية المختلفة وبموجب هذا القانون تم إنزال سلطة وصلاحيات البيئة إلى كافة المحليات بالولاية مع استكمال الهياكل الإدارية والفنية بها.

وبعد التمدد والتوسع الذي طرأ على مدينة عطبرة أدخلت أول شركة خاصة في مجال النظافة ونقل النفايات وهي شركة روعة للنظافة عام 2006 - 2007م وتقوم بنظافة المدينة ونقل نفاياتها إلى خارجها بمسافة قدرها 22كلم، وكان يعمل بها 65عاملاً أجنبياً، و30 سودانياً. أما وسائل النقل فكانت عربة كبيرة و10 براميل للنقل في الأحياء و13 ركشة للأماكن الضيقة وهذه الشركة لم تفي بالمطلوب وتم استبدالها بمشروع نظافة وتجميل مدينة عطبرة وهو تابع لمحلية عطبرة عام 2010م.

مشروع نظافة مدينة عطبرة وأهدافه:

أنشئ هذا المشروع في مارس 2006م بهيكل إداري وفني منفصل بعد أن اكتملت بالمشروع كل معينات العمل من عمال وآليات ومعينات أخرى، ثم حل المشروع وتم استبداله بشركة للنظافة في 2006/7/1م. ثم حلت الشركة في 2007م وإعادة المشروع في نفس العام 2007م وتوالت الإدارات بعد ذلك.

تتمثل أهم هذه الأهداف في النقل والجمع والتخلص من نفايات المنازل والمؤسسات والسوق العمومي والأسواق الفرعية والمستشفيات والساحات العامة والمصارف والشوارع الرئيسية والفرعية ومداخل المدينة وبطريقة آمنة بيئياً وبروح الفريق.

الهيكل الإداري لمشروع نظافة مدينة عطبرة يتكون من:

1. المدير العام 2. المدير الاداري 3. كبير المراقبين 4. ملاحظ صحة 5. مهندس 6. سائقين 7. عمـــال 8. فني 9. كتبة.

الخدمات التي يقدمها مشروع نظافة مدينة عطبرة:

قام المشروع بوضع خطة للعمل لتقديم خدمة أفضل للأحياء السكنية (المنازل). تم وضع خطة عمل أثبتت نجاحها إلى حد كبير حيث تم تقسيم العمل إلى (4) وحدات هي: الوحدة الإدارية وسط، الوحدة الإدارية شمال، الوحدة الإدارية جنوب، الوحدة الإدارية لسولا(ريف).

يتم تنفيذ استراتيجية مرور العربة من منزل إلى منزل مرة واحدة في الأسبوع لجميع أحياء المدينة وتم توزيع أحياء المدينة حسب الوحدات الإدارية التابعة لها ووضع جدول منتظم لتنظيم العمل حسب الأيام لتقديم خدمة مستدامة لكل حي مرة في الأسبوع. وتم تمليك جميع الوحدات الإدارية صور من البرنامج اليومي للإشراف والمتابعة اليومية. ومن خلال الزيارات الميدانية فإنّ المشروع متعسر ولايؤدي دوره والاهداف التي وردت سابقاً.

جدول (1): نموذج يوضح برنامج نظافة الأحياء في مدينة عطبرة

رقم العربة .....النوع .....السائق.....المراقب.....

الرقم	البيان	التنفيذ				الملاحظات
		ضعيف	وسط	جيد	لم يتم	
1						
2						
3						
4						

توقيع المراقب...توقيع مندوب اللجنة الشعبية.... اعتماد رئيس قسم التشغيل.....

(المصدر: مشروع نظافة مدينة عطبرة، 2016م).

جدول (2): يوضح كمية النفايات المنقولة خلال الربع الثاني (2018م) في مدينة عطبرة.

الرقم	الشهر	الكمية بالطن	الملاحظات
1	ابريل	3595	-
2	مايو	3746	-
3	يونيو	4886	-
الجمـــلة		12,217	-

المصدر: تقرير الربع الثاني. مشروع نظافة مدينة عطبرة 2018م

أما مستوى نظافة الشوارع نلاحظ أن هناك كميات كبيرة من الأكياس البلاستيكية وعلب المياه الغازية وأوراق النباتات المتساقطة، كذلك مخلفات الهدم والبناء والتي تعوق عربة النفايات في الدخول والخروج للشوارع مما يساعد في إهدار الوقت، إضافة إلى ذلك إلقاء بقايا الطعام والمياه المنزلية في قارعة الطريق مما يؤثر في القيمة الجمالية العامة.

كذلك يلاحظ اهتمام الأسر بنظافة المنازل دون التركيز على الشارع القريب من المنزل لذا لا بد من توعية المواطن بنظافة البيئة لأن هذا يمثل السلوك الحضاري للشعوب. والملاحظة الثانية ان عربات النقل تهدر وقتاً كبيراً في محاولة الدخول لجمع النفايات من المنازل (العمل الميداني: 2018م)

جدول (3): يوضح تقرير الربع الثالث (2018م)

النشاط	أهداف المشروع	الوضع الابتدائي	الأنشطة المخططة	مسار التنفيذ	نسبة التنفيذ%
نظافة الأحياء والمصارف وإزالة التشوهات	نقل النفايات والمحافظة على المظهر العام	مستمر	نقل 10,000 طن	7500	75
نظافة المؤسسات	-	مستمر	1500 طن	1250	83
نظافة الأسواق	-	مستمر	7500 طن	600	80
صيانة الآليات	-	مستمر	صياغة عدد أجرار عمره	نفذ	0
منشآت ورش	-	مستمر	تجهيز الورشة	لم ينفذ	0
شراء آليات مختلفة	الدعم من مسيرة العمل	مستمر	شراء 5 قلابات	نفذ	10
مكب نفايات	بيئة صحة	مستمر	إنشاء مكب صحي	لم ينفذ	0
العمال	60 عامل	مستمر	30	نفد	100
الآليات العاملة	قلابا ت 4 جرار 2 لودر	مستمر	5 قلابات + 2 جرار + 2 لودر	نفذ جزئياً	65

المصدر: مشروع نظافة مدينة عطبرة 2018م

الآليات العاملة: يمتلك مشروع نظافة مدينة عطبرة عدد 6 قلابات حمولة 16 طناً و1 جرار و2 ترلة مقطورة. وأنضح ان كثيراً من برامج ادراتها غير فاعل رغم دخول عدد من آليات جديدة عام 2018م.

طريقة الجمع والنقل:

أولاً: يتم تجميع النفايات المنزلية داخل المنازل في أواني الجمع ولا يكون هناك فرز لهذه النفايات حيث توضع كافة أنواع النفايات في إناء واحد والتي غالباً ما تكون جوالات فارغة من الخيش والبلاستيك والكرتون أو أواني معدنية توضع أمام المنزل لحين وصول العربة ومن ثم يأتي عامل النظافة لأخذها للعربة وغالباً ما يتكون عمال النظافة من 3-4 أفراد مع ملاحظ صحة.

ومن خلال الملاحظة يجب أن تكون هناك عربه صغيرة مرافقة تخصص لجمع النفايات المتساقطة من العربة وهذه الطريقة تقلل إلى حد كبير من هذه النفايات (غير موجودة).

وتوجد في حي الشرقي شمال (مربع 1) حوالي 8 شوارع طوليه وزمن نقل النفايات من هذا الحي الشارع الطولي الواحد قرابة ساعة بمعنى ان العربة تحتاج لأكثر من 6 ساعات. وتبلغ حمولة العربة المخصصة

16 طناً وتقدر كمية النفايات التي تنقل في الأسبوع حوالي 250 طن مع ملاحظة أن حي الشرقي شمال يأتي في المرتبة الخامسة من حيث عدد السكان في المدينة حسب آخر تعداد2008 (العمل الميداني:2018).

مشاكل ومعوقات عمل نقل النفايات الصلبة المنزلية:

- قلة الآليات كما هو موضح مقارنة بالتوسع الذي طرأ على المدينة.
- عدم تجاوب بعض المواطنين مع إدارة المشروع في أعمال النظافة.
- السلوك غير الحضاري لبعض المواطنين برميهم النفايات في الشوارع الرئيسية والفرعية والمصارف.
- القطع غير المشيدة بالأحياء والأسواق والتي أصبحت مكب للنفايات.
- السكن العشوائي بالإضافة إلى زرائب المواشي والتي تكون قريبة من مكان السكن.
- التعدي على الشارع العام بالبناء أو الحظائر وعدم السماح لعربة النفايات بالمرور بسهولة.
- عدم وجود مكب للنفايات مطابق للمواصفات العالمية (Wastes posts).

مكب النفايات

يبعد مكب النفايات الحالي عن المدينة 17 كيلو متراً، وهو مكب عشوائي غير مدروس وغير مخطط، وقد امتلأت المساحات المحددة له مما يستدعى عمل مكب جديد خلال الخطة القادمة بمواصفات صحية وتحديد موقع آخر بمساحة حوالي (10 فدان) ويتم حفر خنادق بعمق 3–5 متر وطوله (6)متر توضع النفايات بداخلها وتفصل بطبقة ترابية (خطة عمل: المشروع نظافة عطبرة 2016م). والمعروف ان المدينة لا توجد بها محطات وسيطة تقلل من زمن نقلها.

جدول (4): المستهدف من النفايات على الأرباع الموضحة (2018م).

الربع الأول (متر^3)	الربع الثاني (متر^3)	الربع الثالث (متر^3)	الربع الرابع (متر^3)
38,320	38,320	38,320	38,320

المصدر: خطة عمل: مشروع نظافة مدينة عطبرة 2018م.

يتضح من الجدول رقم (4) ليس هناك زيادة في المستهدف خلال العام ويعني ذلك محدودية الامكانات كما لم يوضح كم يبلغ المستهدف من الكمية الكلية للمدينة لمعرفة قدرة المشروع او تطوره رغم ان الجدول (3) يوضح ان الربع الاول من العام بلغت حوالي 12الف.

الدراسة الميدانية

جدول (5): عدد مرات النظافة في المنزل

العدد/اسبوعياً	يومياً	مرتان	ثلاث مرات	المجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	79.3	6.9	6.9	93.1	6.9	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من جدول (5) أن المبحوثين الذين أجابوا على أن عدد مرات النظافة داخل المنزل يومياً نسبتهم 79.3%، أما الذين أجابوا بأن عدد مرات النظافة داخل المنزل مرتين كانت نسبتهم 6.9%، والذين أجابوا بأنهم ينظفون ثلاث مرات في الأسبوع تبلغ نسبتهم 6.9% وذلك يوضح حجم التجميع خلال الاسبوع.

جدول (6): طريقة فرز النفايات

الاجابة	نعم	لا	مجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	69	27.6	96,6	3.4	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من الجدول رقم (6) من عينة الدراسة أن المبحوثين الذين كانت إجابتهم بنعم على أن الطريقة التي يتم بها فرز النفايات بالمنزل بنسبة 69%، أما الذين كانت إجابتهم بلا على أن الطريقة التي يتم بها فرز النفايات بالمنزل كانت نسبتهم 27.6%

جدول (7): يوضح مكان وضع النفايات

السكان	داخل المنزل	خارج المنزل	مجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	62.1	34.5	96,6	3.4	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من جدول (7) حسب المبحوثين أن مكان وضع النفايات المنزلية داخل حوش المنزل كانت بنسبة 62.1%، بينما كان وضع النفايات خارج حوش المنزل بنسبة 34.5%.

جدول (8): انواع مواعين حفظ النفايات

اكياس بلاستيكية	اواني معدنية	جولات	مج
48.3	37.9	13.8	%100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من الجدول رقم (8) من عينة الدراسة أن المبحوثين الذين أجابوا على أن المواعين التي تحفظ فيها النفايات المنزلية تكون داخل أكياس بلاستيكية بنسبة 48.3%، أما الذين أجابوا بأن المواعين التي تحفظ فيها النفايات المنزلية توضع في أواني معدنية كانت نسبتهم 37.9%، والذين أجابوا على أن المواعين التي تحفظ فيها النفايات المنزلية داخل جوالات تبلغ نسبتهم 13.8%.

جدول (9): عدد زيارات عربة النظافة

العدد/الشهر	مرتان	اربعة	اكثر من 4	مجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	31	48.3	10.3	89.7	10.3	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018

يتضح من جدول (9) من عينة الدراسة أن المبحوثين الذين أجابوا على أن عدد زيارات عربة النظافة في منطقتهم مرتان في الشهر بنسبة 31%، أما الذين أجابوا بأن عدد زيارات عربة النظافة في منطقتهم أربع مرات في الشهر كانت نسبتهم 48.3%، والذين أجابوا على أن عدد زيارات عربة النظافة في منطقتهم أكثر من أربع مرات تبلغ نسبتهم 10.3%.

جدول (10): يوضح كيفية التخلص من النفايات فى حالة تاخر عربة النظافة

الكيفية	الحرق	الكارو	الشارع والفراغات	مجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	34.5	58.5	3.4	96.6	3.4	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من جدول (10) من عينة الدراسة أن المبحوثين الذين كانت إجابتهم على كيفية التخلص من النفايات في حالة تأخر عربة النظافة عن طريق الحرق بنسبة 34.5%، أما الذين كانت إجابتهم على كيفية التخلص من النفايات في حالة تأخر عربة النظافة عن طريق الكارو كانت نسبتهم 58.6%، والذين كانت إجابتهم بأنهم يتخلصون من النفايات عن طريق وضعها في الشارع أو في القطع غير المشيدة تبلغ نسبتهم 3.4%.

جدول (11): يوضح مستوى قبول الخدمة

المستوى	مقبول	جيد	ممتاز	مج	قيمة مفقودة	مج
%	58.6	24.1	3.4	86.2	13.8	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من جدول (11) من عينة الدراسة أن المبحوثين الذين كانت إجابتهم على مستوى الخدمة المقدمة من مشروع نظافة مدينة عطبرة على أنه مستوى مقبول بنسبة 58.6%، أما الذين كانت إجابتهم على أنه مستوى جيد كانت نسبتهم 24.1%، والذين كانت إجابتهم على أنه مستوى ممتاز تبلغ نسبتهم 3.4%.

جدول (12): يوضح دور اللجان الشعبية

الدور	متابعة	تبليغ	قيادة حملات	مجموع	قيمة مفقودة	مجموع
%	24.1	13.8	44.8	82.8	17.2	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من الجدول رقم (12) من عينة الدراسة حول راى المبحوثين عن دور اللجان الشعبية فى نظافة الحى ان الذين أجابوا على أن دورها يتمثل في متابعة مرور عربة النظافة كانوا بنسبة 24.1%، أما الذين أجابوا بأن دورها يتمثل فى تبليغ المشروع في حالة التأخر كانت نسبتهم 13.8%، والذين أجابوا بأنه يقوم علي قيادة حملات النظافة من حين لآخر تبلغ نسبتهم 44.8%.

جدول (13): نسبة استعداد دفع الرسوم

الاجابة	نعم	لا	مج
%	96.6	3.4	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2018م

يتضح من الجدول رقم (13) أن المبحوثين الذين كانت إجابتهم على أنهم مستعدون لدفع رسوم النفايات كانت بنسبتهم 96.6% والذين كانت إجابتهم بأنهم لا يستطيعون دفع رسوم النفايات بلغت نسبتهم 6.9%.

تحليل البيانات:

العلاقة بين عدد الغرف بالمنزل وعدد زيارات عربة النظافة:

Table (14): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	6.221[a]	8	0.623
Likelihood Ratio	8.175	8	0.417
Linear-by-Linear Association	.351	1	0.554
N of Cases	25		

a. 15 cells (100.0%) have expected count less than 5.
The minimum expected count is .36.

المصدر : إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول (14) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على أن عدد الغرف بالمنزل يؤثر على مستوى النظافة وبذلك يؤثر على عدد زيارات عربة النظافة بالمنطقة.

Table (15): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	14.290[a]	8	0.075
Likelihood Ratio	12.652	8	0.124
Linear-by-Linear Association	0.025	1	0.875
N of Cases	24		

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول (15) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على أن عدد الغرف بالمنزل يؤثر على مستوى الخدمة المقدمة من مشروع النظافة.

جدول (16) يوضح العلاقة بين عدد الغرف بالمنزل واستعداد المواطن على دفع رسوم النفايات.

Table (16): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	8.642[a]	4	.071
Likelihood Ratio	4.809	4	.307
Linear-by-Linear Association	3.293	1	.070
N of Cases	28		

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول (16) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على أن عدد الغرف يؤثر على أمكانية استعداد المواطنين لدفع رسوم النفايات المنزلية.

جدول (17): يوضح العلاقة بين مساحة المنزل وكيفية التخلص من النفايات في حالة تأخر عربة النظافة:

Table (17): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	4.363[a]	4	0.359
Likelihood Ratio	4.580	4	0.333
Linear-by-Linear Association	.610	1	0.435
N of Cases	28		

المصدر: إعداد الباحث 2016م.

يتضح من الجدول رقم (17) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

جدول (18) يوضح العلاقة بين مساحة المنزل وحرق النفايات المنزلية من خلال قيمة كالآتي:

Table (18): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	3.877[a]	2	0.144
Likelihood Ratio	4.249	2	0.119
Linear-by-Linear Association	0.205	1	0.651
N of Cases	28		

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول رقم (18) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

جدول (19) يوضح العلاقة بين نوع المسكن وكيفية فرز النفايات بالمنزل من خلال قيمة **Chi-Square**

	Value	**Df**	**Asymp. Sig. (2-sided)**	**Exact Sig. (2-sided)**	**Exact Sig. (1-sided)**
Pearson Chi-Square	0.117[a]	1	0.732		
Continuity Correction[b]	0.000	1	1.000		
Likelihood Ratio	0.119	1	0.730		
Fisher's Exact Test				1.000	0.558
Linear-by-Linear Association	0.113	1	0.737		
N of Cases	27				

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول رقم (19) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

جدول رقم (20) يوضح العلاقة بين نوع المسكن ومكان وضع النفايات المنزلية من خلال قيمة كالآتي:

Table (20): Chi-Square Tests

	Value	**Df**	**Asymp. Sig. (2-sided)**	**Exact Sig. (2-sided)**	**Exact Sig. (1-sided)**
Pearson Chi-Square	0.355[a]	1	0.551		
Continuity Correction[b]	0.022	1	0.882		
Likelihood Ratio	0.366	1	0.545		
Fisher's Exact Test				0.676	0.450
Linear-by-Linear Association	0.342	1	0.559		
N of Cases	27				

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول رقم (20) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

جدول (21) يوضح العلاقة بين نوع المسكن والمواعين التي تحفظ فيها النفايات بالمنزل من خلال قيمة:

Table (21): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	1.559[a]	2	0.459
Likelihood Ratio	2.363	2	0.307
Linear-by-Linear Association	1.285	1	0.257
N of Cases	28		

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول رقم (21) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

جدول (22)**:** يوضح العلاقة بين عدد الذكور في المنزل ودور اللجنة الشعبية في نظافة الحي:

Table (22): Chi-Square Tests

	Value	Df	Asymp. Sig. (2-sided)
Pearson Chi-Square	7.267[a]	8	0.508
Likelihood Ratio	8.883	8	0.352
Linear-by-Linear Association	2.252	1	0.133
N of Cases	24		

المصدر: إعداد الباحث 2018م

يتضح من الجدول رقم (22) أن قيمة P value المحسوبة أكبر من مستوي المعنوية البالغة 5% مما يدل على مساحة المنزل والتخلص من النفايات المنزلية في حالة تأخر عربة النظافة.

النتائج:

1. نجد أن أربع زيارات كافية لنقل النفايات المنزلية وذلك يرجع لعدم وجود ميزانيات كافية لتحسين بيئة الاحياء السكنية.
2. مستوى الخدمة المقدمة من مشروع نظافة مدينة عطبرة قد يكون مقبولاً وذلك يرجع لعدم وجود آليات كافية تغطي أحياء مدينة عطبرة.
3. نجد أن هناك وعياً نسبياً بيئياً لدى المواطنين وذلك لعدم إلقاء النفايات المنزلية في فناء الشارع.
4. نجد أن عملية فرز النفايات المنزلية يمكن أن تؤدي إلي إمكانية تدوير النفايات المنزلية في المستقبل لإنتاج الطاقة والأسمدة العضوية.
5. استخدام الأكياس البلاستيكية كمواعين تحفظ فيها النفايات المنزلية بينما يري الباحث تخصيص نوعين من أكياس البلاستيك ذات لونين مختلفين بغرض فرزها.
6. تنظيف المنازل يوميا مؤشر لاهتمام المواطنين بالنظافة المنزلية.
7. وجود كميات كبيرة عالية من النفايات المنزلية في الشوارع.

8. يجب عمل خطة سير تتجنب بها أوقات الازدحام الرئيسية أثناء عمليتي الجمع والنقل كجمع النفايات من المناطق التجارية أثناء الليل مثلاً.
9. هنالك دلالة إحصائية في العلاقة بين عدد من المتغيرات في الجداول من14 الى 22.

التوصيات:

نوصي بالآتي:

1.تدوير النفايات المنزلية من خلال الفرز المبدئي للنفايات المنزلية ابتداءً من المنزل.

2.إنشاء مصنع لتدوير النفايات المنزلية والاستفادة منها بأكبر قدر ممكن.

3.يجب تفعيل دور اللجان الشعبية في الأحياء بصورة أكبر في عملية نظافة الأحياء مع الإشراف والمتابعة في حالة وجود قصور في نظافة الحي المعين وليس من حين لآخر.

المراجع والمصادر:

احمد الحاج، محمد يحي (2005). المتغيرات الوظيفية وأثرها على البنية الحضرية-مدينة عطبرة. رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم.

التوم، مهدي أمين (1974). مناخ السودان- جامعة السودان المفتوحة 1974

السماني، محمد عثمان (2011). الجمعية السودانية لحماية البيئة- مشروع السلام البيئي- أوراق عمل منتدى السلام البيئي 2009- 2011م.

عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب (1995). القمامة، الدار العربية للنشر، القاهرة.

غرابية، سامح والفرحان، يحي (2002). المدخل إلى العلوم البيئية- الشروق.

غنيمي، زين الدين عبد المقصود (1997). قضايا بيئية معاصرة - المواجهة والمصالحة بين الإنسان وبيئته، منشاة المعارف.

كتاب التعدادات القومية (2010). مكتب الاحصاء الدامر-2010م.

محمد على، محمد محمود وعبد الخالق، فؤاد محمد عبد الخالق (2007). التلوث البيئي (المصادر- الأنواع – المشكلات - الوقاية). الطبعة الأولى، دار عبد الله بن صالح.

مكتب الصحة- محلية عطبرة (2016). مشروع نظافة عطبرة- النفايات الواقع – التحدي وآفاق المستقبل 2016م.

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

The Effects of Cultural and Poetic Language on Appreciating Poetry

Ishag Jaffer Elbadawi

Sudan University of Science and Technology, Faculty of Languages

Corresponding author: issacjaffer100@gmail.com

Abstract:

This paper aims at providing new interpretation of the effects of culture and poetic language on appreciating English poetry at tertiary education on the part of students of English language. A descriptive analytical research method was followed and a questionnaire was used to collect the data pertaining to teachers of English language at public run universities in Khartoum city. After analysing the data statistically using the SPSS, the researcher found out that appreciating poetry depends on absorbing the target language as it represents a genuine part of the English poetic context in a poem. Moreover, learners of English should be exposed to the English culture through authentic and non-authentic materials at the initial stages of learning English.

Keywords: Cultural, poetic language, literary competence.

أثر العوامل الثقافية في تذوق الشعر الإنجليزي

إسحق جعفر البدوي

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة لإيجاد تفسير لأثر العوامل الثقافية في تذوق الشعر الإنجليزي لدى الطلاب الجامعيين الذين يدرسون اللغة الإنجليزية كتخصص. انتهج الباحث في هذه الدراسة منهج البحث الوصفي التحليلي مستخدما الاستبيان كأداة لجمع البيانات المتعلقة بأساتذة الجامعات المتخصصين في اللغة الإنجليزية بمدينة الخرطوم. بعد تحليل البيانات إحصائياً، خلص الباحث إلى أن تذوق الشعر بصفة عامة يعتمد على الإلمام بثقافة أهل اللغة المستهدفة كمدخل لفهم السياقات الشعرية المختلفة داخل النص الشعري إضافة إلى أنه ينبغي استخدام المادة التي تحتوي على سياقات غير مصممة لأغراض تعليمية بُغية تمليك المتعلم مظاهر الثقافة الإنجليزية في المراحل الأولى من تعلم اللغة.

كلمات مفتاحية: ثقافي، لغة الشعر، الكفاءة الادبية

Introduction

Probably, there might be pivotal intersections between poetry i.e. the art of writing poems and culture which was defined as "the total set of beliefs, attitudes, customs, behavior, social habits, etc. of the members of a particular society." (Richards, 1987: 179)

However, the current polemic of cultural effects on appreciating poetry taking into account cultural pluralism is summarized by Maley (1985:135): "carefully selected poems can open us themes which are common to us whatever our cultural background, and can thus act as powerful stimulus to the students' own reflective thinking ".

Furthermore, culture is obviously the key of understanding societies in terms of their beliefs, way of living and language. Hence, the most effective medium of cultural transmission is language as it is described as the mirror which reflects human thoughts and behavior. Moreover, language and culture are interdependent in such a way that being familiar with the culture of a certain community necessitates profound knowledge of the language used among its members.

The mutual understanding between two or more interlocutors pragmatically depends on their background knowledge and the context in which the language is used. (Hedge, 2000: 24) could succinctly pinpoint the constraints of cultural factors on learning natural languages explaining the obstacles that students undergo when learning a language non-natively.

Vocabulary items of a language might have lexical considerations which would totally be different in comparison to other ones and that is due to an assortment of cultural factors that would determine the discrepancies between these languages. So that learners should take these differences into account.

After highlighting the relationship between language and culture, it is crucial and vital to shed light on the connection and liaison between language and a paramount human art which is "poetry". It is an extraordinary way of contracting ideas, concepts and social perspectives in a few words. Therefore, it is a prosaic incisive means which is somewhat capable of moving humans sentimentally and affectionately. Nevertheless, it remains the lively and vigorous medium for conveying cultural metamorphosis among nations as well as their statuesque in a fairly economic, eloquent, and shrewd manner.

The significance of poetry as a popular literary genre could decisively allocate a good space for it at tertiary education as a genuine part of its curricula. However, the problems encountered by students when dealing with it (taking Sudanese students who study English literature as an instance), are definitely due to the alien cultural mismatch moreover to the environmental differences between the Sudanese culture "which is a mixture of Afro-Arab features) and European ones. Therefore, some ideas, objects, concepts, or any other regional considerations implied in the English poetry remain indecipherable for non-native speakers of English.

It could be said that culture is the camshaft which gives life to the body of poems. Stressing this claim which secures the relationship between poets and their cultures, (Brumfit and Carter, 1986) reported that, "poets introduce a fundamental structure of beliefs and

interests which reflect the particular culture or section of society into which they were born and in which they grew up".

As far as the researcher is concerned, this study will probably revolve around the tangible effect of cultural factors on appreciating English poetry at tertiary level, with special reference to the poems of the British poet Graham Burchell to confound these irksome factors, analyze them and state the expected correspondence between the postulated hypotheses and variables of this phenomenon in a convenient and relatively economic way reviewing what has been issued so far by the authors, critics and expertise of the field for more incisive interpretation and explorations. chapters.

This study aims at:

1- Providing new interpretations of the effect of culture and poetic language on appreciating English poetry.
2- Shedding light on the importance of poetry as a literary genre that might aid SLA and FLA.

Questions of the Study

- To what extent do culture and poetic language affect appreciating poetry?
- Do Sudanese students of English face difficulties in appreciating English poetry?
- What makes English poetry difficult to appreciate?

Statement of the Problem

Culture is considered to be an essential component of appreciating foreign literature, for it is the melting pot of arts or the shared background between poets and their readers and listeners. However, the problems which face students of English at Sudanese universities when dealing with English poetry are not only attributed to their mental capacity, literary competence or lack of connoisseurity, but that might relatively have something to do with some cultural variations which would widen the distance between the students' minds and some poetic contexts resulting in an imperfect appreciation of English poetry. So, appropriate analyses, syntheses, analogies and contrasts focusing on the poems of Graham Burchell will be done in the upcoming

Methods

The study seeks to understand and document the relationship between culture and appreciating poetry. The researcher followed the descriptive analytical method and a questionnaire was used as a data gathering tool. The context being investigated is the Sudanese tertiary students specialized in English Language at the public run universities in Khartoum city. English language instructors in the same context were given the questionnaire to provide authentic data on the basis of which the results can be generalized. The questionnaire was rectified by three arbitrators who were associate professors in English language at different universities in Khartoum to check its validity. Then fifty copies of it were distributed among instructors of English language at public run universities in Khartoum city.

After using Alpha Cronbach and Spearman-Brown Formula, to test the questionnaire reliability, it proved that it was reliable. Hence, the data were processed statistically as the methodology of the study is based on describing the problem and analyzing the data statistically.

Previous Studies

This part reviews some of the previous studies related to the literature of the field being surveyed. These studies are verily matched with the present one in terms of similarities and difference to find out the points of intersections for more consolidation and explorations in the field.

Waleed Abd Elwahad (2016) at Sudan University of Science and Technology handled, Utilizing Translation to Boost Understanding Among English language Learners. The study aimed at investigating the effect of learning the culture of the target language on developing English language skills. Hence, He assumes that the awareness of cultural variation, grammatical structure and authentic exercises in translation skills are useful items that a syllabus should include when teaching English. The findings proved that English as a foreign language students should be trained exclusively on the cultural mismatches between English and Arabic in terms of sentence structure, grammatical rules and idiomatic expressions to overcome cultural problems as barriers to language acquisition. Similarly, the present study sheds light on the essentiality of culture as an obstacle that would render learners of English fail to appreciate English poetry properly and easily.

Relevantly, Ibrahim Al Sabateen (2008) at Sudan University of Science and Technology conducted a thesis on the effect of lexical, grammatical and cultural background knowledge on reading comprehension. He postulated a hypothesis that there is no significant difference in reading comprehension between subjects who have cultural background knowledge and those who do not have any knowledge. Eventually, he came up with the findings that there are statistical significant differences in performance in reading comprehension between subjects who have cultural knowledge and those who do not have any knowledge. Thus, the previous study in question provided good evidence that culture is verily the backbone of understanding written and spoken language in almost all contexts. Simultaneously, the present study endorses the role of culture as a factor which should be taught alongside with the other aspects of language as long as it plays a major role in understanding both written and spoken forms of language including poetry as a distinctive literary genre whose language is based on the various components of culture in most cases.

Accordingly, Ian Bulter (2006) at University of South Africa investigated integrating language and literature in English studies. He hypothesized that the integration of literature and language studies can do as much for the language development of the student as for the development of capacities for literary understanding and appreciation. The researcher used a questionnaire and interviews to come up with many findings some of which can be couched as follows: language learning and literary studies are interdependent and in a specialist context, should be seen as complementary at all stages in the educational process. The researcher displayed the effect of cultural factors on language learning and their impact on literary understanding and appreciation of literary texts in general.

The same context has been handled by the present study as the effect of cultural factors on appreciating English poetry is one of its variables which were given a good space across the pages of the chapter in question.

Eventually, both of the studies elaborate the predictable relationship between literature, language and culture as different areas which have points of intersection and the language learner has to deal with them properly to explore their dimensions and master them one after another.

Within the same context, Dorothea Meihuizen (2001) at the University of Zululand, conducted a thesis for the fulfillment of PhD requirements entitled "The Reading of Poetry: Appreciation and Evaluation". The study aimed at formulating an evaluative content which would shed light on the connection between reading and appreciating poetry with a special reference to various poetic experience.

The major assumption was that: language and cultural studies are strongly connected with poetry reading and appreciation in addition to their unstultifiable contribution to these processes. On the basis of that the researcher arrived some essential findings some of which that teaching the target language culture is the building block on the basis of which students will find it easy to read and appreciate poetry overcoming the boundaries of linguistic and cultural barrier.

Comparatively, this study takes cultural barriers as its first variable which contributes to the process of poetry appreciation. Hence, it considers teaching the culture of the target language within the course of teaching and learning inside the language classroom is crucial and pivotal particularly at the initial phases of language learning and that is regarded as a well-grounded threshold which would fortify the ability of appreciating literary texts.

Results

After collecting the data using a questionnaire, the obtained data was analyzed statistically to arrive at the main results and findings illustrated in Table (1). The statistical results after testing the tool reliability could test the postulated hypothesis to generalize the results and interpret the variables of the phenomenon being investigated.

Hypothesis: There is a strong relationship between culture and appreciating poetry.

Table (1): The frequency distribution of the responses of the sample members of the study for the first hypothesis phrases

Sentences	Frequency and percentage %									
	Strongly Disagree		Disagree		Neutral		Agree		Strongly agree	
	f	P (%)	f	P (%)	f	P (%)	f	P (%)	f	P (%)
There is a strong relationship between culture and appreciating poetry.	10	14.3	3	4.3	6	8.6	29	41.4	22	31.4
Poetry is a component of society cultural aspects.	17	24.3	5	7.1	9	12.9	22	31.4	17	24.3
Poetry would appropriately convey communities' cultural variables.	3	4.3	5	7.1	10	14.3	35	50	17	24.3
The language used in English poetry, mostly reflects the English culture.	0	0.0	6	8.6	9	12.9	30	42.9	25	35.7
Teaching culture to English as foreign language students will help them appreciate poetry.	8	11.4	11	15.7	5	7.1	28	40	18	25.7
Familiarizing students with the target language culture is a step towards appreciating poetry.	11	15.7	5	7.1	0	0.0	33	47.1	21	30

Source: prepared by researcher, based on field study's data, 2018.

From Table (1) which explains the ratios and frequencies of the hypothesis Expressions which states “There is a strong relationship between culture and appreciating poetry.

The researcher noticed the following:

The statement “there is a strong relationship between culture and appreciating poetry”. It is noticeable that (51) out of the total number of the subjects agree at a rate of (72.8%) of the sample, whereas, (6) candidates are neutral and that represents (8.6%) of the subjects, while (13) of the subjects at the rate of (18.6%) disagree.

The second statement, which states "Poetry is a component of society cultural aspects." It is found that (39) agree, at the rate of (55.7%) of the sample, but (9) respondents are neutral, at the rate of (12.9%), while there are (22) candidates disagree at the rate of (31.4%) from the sample.

The third statement, which states "Poetry would appropriately convey communities' cultural variables”. It is apparent that (52) candidates agree, at the rate of (74%) of the sample, while there are (10) neutral respondents, at the rate of (14.3%) of the sample, while there are (8) of the subjects disagree, at the rate of (11.4%) from the sample.

The fourth statement, which states “The language used in English poetry, mostly reflects the English culture”. We find that (55) out of the total number agree, and at the rate of (78.6%) of the sample, while the neutrals are (9) candidates of the sample, and at the rate of (12.9%) Of the sample, while there are (6) people disagree, from the sample at the rate by (8.6%).

The fifth statement, which states “Teaching culture to English as foreign language students will help them appreciate poetry.” It clarifies that (46) respondents agree, at the rate of (75.7%) of the sample, while the neutral ones are (5) of the sample, at the rate of (7.1%) Of the sample, While there are (19) of the subjects disagree, at the rate of (27.1%) from the sample.

The sixth statement, which states “Teaching culture to English as foreign language students will help them appreciate poetry.” It is remarkable that (54) candidates agree, at the rate of (77.1%) of the sample, while the neutral candidates are (2) of the sample, at the rate of (2.9%) of the sample, while (14) out of the total number disagree, at the rate of (20%) from the sample.

Discussion

Having tested the hypothesis, it is obvious that students will face difficulties of appreciating poetry unless they are appropriately exposed to the target language culture and to ample cultural capsules that will enable them deal with poetry and develop their poetic competence. Hence, English poetry is a pivotal part of the English culture and one of its essential components. Thereby, poets base their verses on cultural aspects such as: popular food, folklore, religion, politics, and all the variables of their local culture and circumference environment which usually enrich their literary contexts.

Culture as a Multidimensional Domain

Culture is a multidimensional domain which consists of various variables. As far as the researcher is concerned, it is worth mentioning that English as a cultural universe, few would disagree with the view expressed in Quirk *et al*. (1985: 2) that "English the world's most important language." It is certainly as David Crystal noted more than a decade ago in his encyclopedic Dictionary of language and languages (1992: 121), it is spoken by a large and ever-increasing number of people. It has official status in over sixty countries. English is also the language of international air traffic control, and the chief language of publishing and technology. Quirk *et al.* (1985: 16) emphasizes the cultural neutrality of English using the following words:

"English which we have referred to as a lingua

franka, is pre-eminently the most international

language. Though the mention of the language

may at one remind us of England, on the one hand,

or cause association of the might of United States

on the other, it carries less implication of political

or cultural specifity than any other living tongue."

The above excerpt well describes English as a widely used language by people from various cultures and that makes the English poetry hard to appreciate as it implies different cultures covering a vast geographical area. Some English poems include cultural values belonging to the Euro zone. For instance, (Burchell, 2015.17) in his poem "daughter of Daedalus" uses a Greek legend which is mostly known by European people as it relates an imaginary story in their history. It talks about a king who imprisoned one of his servant in a tunnel on an island. Eventually, the servant made his son and himself wings of wax and flew with his son till they reached the sun where their wings melt and they fell down. Regarding this poetic context, students will never be able to appreciate it unless they are well aware of that legend

Poetic Language and Poetry

There are various deviations from the ordinary linguistic criteria which regulate language use and usage semantically, grammatically, and morphologically in poetry rather than prose.

Poetic language, at least in some theorization differs from the everyday ordinary language. In ordinary usage language is mostly automatic, and words are used in a way that does not attract attention, but in poetry the language is used in such a special way that the reader makes a distinction between poetic language and the daily or usual one. How is this differentiation made?

Before dealing with this question, the starting point could be the very notion of language as poetry cannot be imagined outside language. There have been many different definitions for the term. (Pie, 1966: 141) defines language as "a system of communication by sound, operating through the organs, among members of a given community, and using vocal symbols possessing arbitrary conventional meanings" As (Hall, 1968: 18) puts it "language is

the institution whereby humans communicates and interact with each other by means of habitually used oral- arbitrary systems" What is common in these definitions is that "language is a means of communication" However, language is not just a way of communicating daily needs. It also speaks about the cultural loads of centuries, beliefs, traditions and thoughts. To put it in different words, language performs different functions. (Jacobson, 1981: 25) assumes six basic functions for language: emotive, conative, phatic, metalanguage, referential and poetic. Among these functions, poetic function is related to the aesthetic and artistic aspects of language and is mainly used in literature and poetry.

Although Jacobson does not reduce the domain of poetic function to poetry, he considers it to be the dominant and determining function of verbal art, whereas in all other verbal activities, it acts as a subsidiary, accessory constituent.

In principle, the language of poetry comes into existence when some norms are broken or deviated from. According to (Kadkani, 1989: 240) "Poetry is nothing but breaking the norms of ordinary and logical language." Hence, there is almost no literary work that does not involve a sort of deviation from ordinary language.

Russian formalists considered literature as a special use of language which achieves its distinctness from deviating and distorting practical language (in Selden, Widdoson, and Brooker, 1997: 32). The proper study of literature, they declared, is literature itself. To study literature, they asserted is to study "poetics" which is an analysis of a work's constituent parts- its linguistic and structural features- or its "form" "in Bresseler, 2007: 51))

As they argued, form includes what they call "devices" which comprises the artfulness and literariness of any text.

The formalists' chief focus of literary analysis was the examination of a text's literariness and the language used in the text. They believe that literary language is different from everyday language. Unlike ordinary speech, literary language foregrounds itself. Through devices such as imagery, structure, paradox, rhyme, scheme, etc., literary language identifies itself as deviations from every day speech patterns and produces the defining features of literariness, i.e. defamiliarization. Introduce by the Russian formalist victor Shoklovsky, defamiliarization is the process of making strange the "familiar" art exists in order to recover for us the sensation of life which is diminished in the automatized routine of every day 'experience' (Baldick, 2004: 62) the result of this process of deformalization is that it enables us once again to see the world anew in its all splendor. Mukarovesky (1932), a member of Prague Linguistic Circle, developed the formalist concept of "defamiliarization" into the more systematic "foregrounding" which he defined as "the aesthetically international distortion of the linguistic components." In Widdoson (1997, 38) foregrounding causes the reader to draw attention from the putative paraphrasal meaning of message "what is said to focus on the message itself and how it is said" (Fowler, 1987: 98)

Leech (1969: 57) has applied the concept of foregrounding to poetry. He considered the foreground figure as "linguistic deviation while the background is the language itself" According to Leech; it is a very general principle of artistic communication that "work of art

in some way deviates from norms which we, as members of society have learned to expect in the medium used.

References

Baldick (2004). Dictionary of Literary Terms. Oxford: OUP

Bresseler, Wolfgang U. (2007). The Acquisition of Diminutive: Across-cultural Linguistics Perspective. Amsterdam: Zentrum Fur Allegemeine

Burchell (2015). Kate (1st edition). UK: Indigo Dreams.

Crystal. D. (1992). Encyclopedia of Language. UK: CUP

Fowler, W. A. (1987). Theory of Glacier Surges. Uk: OUP

Gillian, L. (1993). Literature and Language Teaching. UK: CUP

Hedge, T. (2002). Teaching and Learning in the Language Classroom. UK: OUP

Jacobson, J. Z. (1981). Fundamental of Human Neuropsychology. Sanfrancisco: Freeman

Kadkani, S. (1989). Linguistic Deviation in Poetry Translation. Iran: University of Isfahan

Manley, Alan (1985). Reading and Writing Poems with the Students of English. UK: CUP

Mokarovsky, Jan (1932). Standard Language and Poetic Language (1st edition). Washington, DC: Georgetown University Press

Pie, M.A. (1966). Glossary of Linguistic Terminology (1st edition). USA: Columbia University Press

Quirk *et al.*, (1985). A Comprehensive Grammar of the English Language. London: Longman

Richards, J. (1987). Applied Linguistics Dictionary. UK: Longman

Robert, A. Hall. Jr. (1968). An Essay on Language. USA: University of California

Widoson *et al*. (1997). A reader's Guide to Contemporary Literary Theory (5th edition). UK: Longman

منشورات جامعة وادي النيل
مجلة النيل للآداب والعلوم الانسانية
(ISSN: 1858 – 7054)
المجلد الأول، العدد الأول، 2020م
http://www.nilevalley.edu.sd

Using Statistical Methods to Detect Variables Leading to Cancer (A Case Study of River Nile State)

Iman Mahmoud Ibrahim Abdo

Faculty of Economics and Administrative Sciences, Nile Valley University

Corresponding author: drimanmahmoud@gmail.com

Abstract:

The study problem is represented in the knowledge of variables leading to cancer, which is considered as an incurable disease that has recently spread since the beginning of 21th century. The study aims to find out the state's position on cancer, as well as the causes of this disease, it also attempts to find out the relationship between cancer and some other variables. Cancer data was obtained from the Center for Oncology and Cancer Research in Shendi (during 2016). The paper adopts the descriptive analytical method and using the frequency tables and Chi Square test. The study found that there is a significant relationship between the incidence of cancer and each of the type, date of disease and age, while no significant relationship were found between residence and cancer. The study recommends the need to abstain from smoking, alcohol and drugs in general, also to maintain personal hygiene and eating healthy foods, and to make periodic examinations for the early disease detection.

Keywords: Leukaemia, colon cancer, lung cancer, pharyngeal cancer, laryngeal cancer.

استخدام الطرق الاحصائية لمعرفة المتغيرات المؤدية لمرض السرطان (دراسة حالة: ولاية نهر النيل)

ايمان محمود ابراهيم عبدو

كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة وادي النيل

مستخلص:

تتمثل مشكلة الدراسة في معرفة المتغيرات المؤدية للإصابة بمرض السرطان والذي يعتبر مرض عضال انتشر منذ مطلع هذا القرن وشكل هاجساً لدى الكثيرين وذلك لصعوبة علاجه ولآثاره الصحية الجسيمة التي تفتك بخلايا الجسم وتؤدى في كثير من الأحيان للوفاة. هدفت الدراسة لمعرفة موقف الولاية من الاصابة بمرض السرطان ومعرفة الاسباب المؤدية للإصابة بهذا المرض والعلاقة بين الاصابة بمرض السرطان وبعض المتغيرات الأخرى. تم الحصول على بيانات الاصابة بمرض السرطان من مركز الأورام وأبحاث السرطان بمدينة شندى (خلال عام 2016م). استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للبيانات حيت تم وصف البيانات باستخدام الجداول التكرارية كما تم تحليل البيانات باستخدام اختبار مربع كاي. توصلت الدراسة الي أنه توجد علاقة معنوية بين الاصابة بمرض السرطان وكل من النوع وتاريخ الإصابة بالمرض والعمر بينما لم نجد علاقة معنوية بين السكن والإصابة بمرض السرطان. أوصت الدراسة بضرورة الابتعاد عن التدخين والكحول والمخدرات عموماً والمحافظة على النظافة الشخصية وتناول الأطعمة الصحية وعمل فحوصات دورية للكشف المبكر للمرض.

كلمات مفتاحية: *سرطان الدم، سرطان القولون، سرطان الرئة، سرطان البلعوم، سرطان الحنجرة.*

Introduction

Cancer is a disease that affects certain genes that control the process of growth and replacement of dead cells after wounding. The human body is made up of different cells in simple forms and functions. Each cell has an outer shell and its nucleus. The nucleus retains the basic information of the cell. Genes determine the system and the way the cell works.

During our lifetime, some cells of the body die naturally and the body compensates for this lack of cells by cell division which usually occurs regularly so that our bodies can grow, replace or repair damaged tissue. When cells work as planned, the body remains healthy, but when that system breaks down the body gets sick.

In the case of cancer abnormal cells grow and instead of replacing damaged cells only those cells proliferate significantly and without stopping overwhelmed the affected organ, the problem of so-called tumor (Al-Aqeel, 2013).

Statement of the problem:

Despite the advancement of science and technological development in various sectors, the most important of which is the medical and pharmaceutical sectors, cancer is still a stigma of fear and a source of terror among many people. Conceal the news of their illness from others and some may suffer from a bad psychological situation, which adversely affects their health and increases the speed of the spread of the disease, so the problem of this study is to identify the causes of this disease using statistical methods.

Importance of the study:

The importance of the study is divided into two parts:

Scientific Importance:

The importance of this study is the attempt of researchers to apply statistical methods to detect the variables and causes leading to cancer in order to help specialists in finding solutions to reduce this incurable disease.

Practical importance:

The practical importance of this study is the adoption of more health awareness campaigns for the detection of all types of cancer, as well as possible to use some kind of vaccine to stimulate the immune system in humans to fight cancer.

Study assumptions:

This study is based on several hypotheses:
1 /There is no significant statistical relationship between age and cancer.
2 /There is no significant statistical relationship between the sex and cancer.
3 /There is no significant statistical relationship between the type of cancer and the incidence of cancer.
4 /There is no significant statistical relationship between housing and cancer.

Study objectives:

The objectives of the study are as follows:
1/ To put hand on the state's position of incidence of cancer.

2/ To know the causes and variable leading to cancer.
3/ To identify the relationship between the incidence of cancer and some other variables.
4/ To make some recommendations that try to reduce the spread of this incurable disease.

Study methodology:

This paper is based on descriptive analytical method of the available data, where data were described using the frequency distribution tables graphs and then data was analyzed using the cross tabulation analysis and chi – square test.

Study population:

The River Nile State has an area of 122.123 Km^2 and a population of 534.1.027 inhabitants as stated by 2008 census.

Center for Oncology and Cancer Research in Shendi:

The idea started in 2008 with the establishment of an integrated center for the treatment of tumors and cancer research. To conduct periodic cancer surveys in the region, the center has five departments (Early detection, diagnosis by radioisotopes, Department of Chemotherapy, Radioactive Iodine, and Department of Atomic Radiation Therapy). The latter is divided in two sections closely and remotely. Neighboring regions and a number of states of Sudan, the organs are complete and find support from the Federal Health, Presidency and Revenue Commission beside the National Fund for Medical Supplies, affiliated to the Center for Federal Health and Shendi University.

Previous studies:

1-**Study of Hassan (2015)** entitled; Cancer disease and its relationship with some psychological variables: This study aimed to detect the general characteristic of the level of depression and the degree of self-confidence, and the degree of satisfaction with life in cancer patients in Khartoum state, and to know the differences between them, as well as to know the relationship between these psychological variables and their relationship to the gender variable, and to achieve these goals the researcher used the descriptive analytical method. The sample of the study was (85), (32) males and (53) females. The researcher used a number of statistical methods (arithmetic mean, T- test).

The average combined single sample and T-test for two independent groups and Pearson's linear correlation coefficient, mono-variance analysis, percentages and Fakernbach equation). Overall self-confidence is high in cancer, the general characteristic of life satisfaction is high in cancer patients, there are statistically significant differences in favor of males.

There is no inverse relationship between depression and self-confidence, and there is an inverse relationship between depression and satisfaction. With the disease, attention should be made to factors that help raise the morale of cancer patients and work must be done to increase the factors that contribute to increase self-confidence and satisfaction.

2 - **Study of Nasser** (2013) entitled; Analysis of the variables affecting the incidence of breast and lung cancer in the provinces of the middle Euphrates: The study aimed to shed light on the variables affecting the incidence of breast and lung cancer and to analyze these variables. The study came out with many results, including that cancer diseases are caused by factors in common with many diseases and some cancer diseases are unique to one cause and not the other. For example, smoking is a major cause of lung cancer. In the female to breast

cancer, the age factor is a common factor in most adult cancers, including breast cancer for females and lung cancer for men.

3- Study of Buzgova and Jarosova (2014) entitled (Association between unmet needs and quality of life in hospitalized cancer patients no longer receiving anti-cancer treatment). Assessing the quality of life and unmet needs of cancer patients is an integral part of palliative care. This cross-sectional study sought to determine whether there is an association between quality of life and unmet needs, anxiety and depression in cancer patients who are no longer receiving anti-cancer treatment. The sample consisted of 93 patients from the oncology department at the University Hospital in Ostrava for whom further cancer treatment had been terminated as ineffective in halting the progression of their cancer. The overall quality of life score was quite low at 46. Most unmet needs were defined in terms of physical, psychological or spiritual needs. Correlations were found between impaired quality of life and lower Karnofsky scores ($r = 0.50$); increased physical ($r = 0.52$), psychological ($r = 0.44$) and spiritual ($r = 0.36$) needs; and higher levels of anxiety ($r = -0.30$) and depression ($r = -0.68$). Effective management of patients' physical (pain, fatigue and depression), psychological and spiritual needs may improve their quality of life.

Comparison between previous researches and this study:

The above previous studies investigated only variables affecting only two types of cancers (breast and lung cancer) but in this study there is a consideration for studying all types of cancer. The other previous study analyzed the relationship between cancer and some psychological variables and arithmetic mean, T-test, but in our study we analyzed the variables leading to cancer using frequency distribution, cross tabulation and chi square tests.

Conceptual framework and presentation

There are several types of cancer:

1/ Leukemia:

It is a type of blood and tissue cancers that produce blood cells such as bone marrow. When a person suffers from leukemia, the bone marrow begins to produce many white blood cells that enter the bloodstream and begin to crowd out healthy natural blood cells and enable them to perform their functions properly.

Symptoms:

- Feeling tired and tired
- Lose too much weight for no reason
- Loss of appetite or feeling of fullness after eating a little food
- Easy bleeding and bruising
- Recurrent infection
- Fever or unexplained night sweats
- Swollen lymph nodes
- Swelling and discomfort in the abdomen
- Swollen and bleeding gums

2/ Breast cancer:

It is a type of cancer that appears in the tissues of the breast.

Symptoms:

- Change in the shape of the breast.
- The appearance of mass in the breast.
- Liquid out of the nipple.
- The appearance of red spots with scales.

3/ Colon cancer:

Colon cancer is a type of disease that affects the colon, and colon cancer (rectum) is a cancer in the last 15 cm of the colon and in most cases colon cancer begins as a small block of non-cancer cells called polyp and after a period of time polyps formed polyps turn into cancer lumps in the colon. These polyps may be small and intestinal with very few symptoms if any and tests that are conducted regularly can prevent starchy and the development of colon cancer by early detection of strains before they turn into cancerous tumors (Al-Aqeel, 2013).

Symptoms:

- Change in normal bowel activity.
- Blood in the stool.
- Permanent intestinal cramps.
- Abdominal gas flatulence.
- Abdominal pain.
- Fatigue and weakness.

4/ Lung Cancer:

Lung cancer is the leading cause of cancer deaths among both women and men. However, most deaths from lung cancer can be prevented because smoking is responsible for 95% of all cases of lung cancer.

Quitting smoking even after years of smoking can reduce the risk of lung cancer by avoiding exposure to other factors that cause lung cancer, such as exposure to radiation and secondhand smoke (Al-Aqeel, 2013).

Symptoms:

- New cough appears and does not disappear
- Changes in existing chronic cough or smoking cough
- Cough accompanied by bloody phlegm
- Shortness of breath
- Chest pain
- Hoarseness
- Aches in and around the shoulder area as a result of tumor pressure on the nerves.

5/ Endometrial and cervical cancer:

Endometrial cancer is the most common gynecological cancer in the United States of America and is the third leading cause of death.

The most common type of endometrial cancer is endometrial cancer, which affects women in desperation, usually in the form of vaginal bleeding.

Symptoms:

- Vaginal bleeding for those in despair.
- Vaginal discharge continuously and dense smelly foul.
- Pain at the time of intercourse.
- Bleeding from the vagina in an unusual and unnatural.
- Feeling of burning and discomfort when urinating or descent of urine mixed with blood
- Significantly affects the bladder.
- Lose weight suddenly and for no apparent reason.
- Loss of neck in eating and also a feeling of fatigue and extreme fatigue.

6/Testicular cancer:

It is a cancer that grows in the testicle. It is a part of the male reproductive system. Statistics in the United States indicate that between 7,500 and 8,000 diagnosis of testicular cancer occurs every year over the course of human life.

Symptoms:

It is often the mass of the testicles can be palpable, ie. any touch can occur and symptoms may include one or more of the following:

- The presence of swelling or stiffness in one of the testicles
- Abnormal sensitivity
- Loss of sexual activity
- Withdrawal of sexual desire
- A burning sensation, especially after physical activity
- Dull pain in the lower abdomen or thigh and sometimes described as a heavy feeling
- Lower back pain
- The presence of blood with semen
- General weakness and feeling tired

Testicular cancer is one of the most treatable cancers, more than 95%, especially if it is not spread in the body. There are three basic types: surgery, radiation therapy, chemotherapy and surgery by a urologist. Radiation therapy is carried out by oncologists and chemotherapy is the work of oncologists.

7/ Pharyngeal cancer:

Oral pharyngeal cancer is one of the types of head and neck cancers that affects the oropharynx, the central part of the throat.

Symptoms:

- Swollen lymph nodes in the neck
- Sore throat in one continuous place after treatment
- Pain that emanates from the throat to the ears
- Swallowing difficult or painful and often leads to malnutrition and weight loss
- Bloody secretions from the nose
- Nasal congestion on one side
- Hearing loss in one ear and recurrent ear infection

- Double vision

8/ Brain cancer

The proliferation of abnormal cells in the brain tissue is not necessarily that all the tumors that originate in the brain are cancerous and therefore the term brain cancer is used to express only malignant tumors.

Malignant tumors grow violently with tight control of healthy cell tissues and by occupying certain areas as well as the use of blood supply and nutrients to the stomach for normal healthy tissue.

Symptoms:

- The headache start frequently
- Problems in the vision, such as mist and the loss of vision surrounding.
- Gradual loss of sensation and movement of hands and legs with sensation.
- Poor balance and a clear defect in the patient
- The emergence of speech problems that did not exist before
- Inactivity or drowsiness in excess of habit
- Memory problems

9/ Kidney cancer:

Kidney cancer, also called adenocarcinoma, is a disease in which malignant cancer cells develop inside the inner shells of the tiny tubes that make up the kidney.

There are two main types of cancer according to their histological origin:

A/ Renal cell carcinoma

B / Kidney pelvic cancer: Urothelial cell carcinoma

It is necessary to differentiate between the origin of the two types when dealing with cancer, because each type special advantages affect treatment options.

10/ Esophageal cancer:

Esophageal cancer is a result of the growth of cancer cells in the lining of the esophagus. Esophageal cancer is an uncommon but dangerous type.

Type I: Squamous carcinoma:

It is most common where the upper part of the esophagus develops malignant tumors

Type II: Aden carcinoma:

It is most common in the lower part of the esophagus, especially in the area of the esophagus.

The main symptoms of esophageal cancer:

- Dysphagia which means difficulty swallowing
- Burning sensation when trying to swallow food
- Chest pain and difficulty swallowing
- Hoarseness and cough
- Gradual weight loss and fatigue due to the inability to eat
- Pain in the throat and discomfort

11/ Liver cancer:

This is the growth and spread of intact liver cells within the liver.

Symptoms (Al-Ageel, 2013):

- If the cancer patient felt pain in the upper abdomen to the right, especially as the pain may increase to include other areas (such as the area of the back and shoulders).
- The appearance of inflatable in the abdomen.
- The occurrence of wasting and the patient lost weight and appetite in a short period.
- Injury fatigue, laziness and extreme fatigue.
- Turn the color of the injured skin to a yellow color and the spread of bile in the body and under the skin as a result of imbalance in the liver.

12/ Laryngeal cancer:

It is a malignant tumor that occurs as a result of the growth of cancer cells.

Causes of throat cancer (Al-Aqeel, 2013)

- Smoking is the most common cause of laryngeal cancer as well as oral and lung cancer
- Drinking of alcohol
- Exposure to inhalation of toxic substances

Symptoms:

- Hoarseness or change in sound
- Tumor in the neck
- A sense of something strange in the throat
- A sense of suffocation, especially at night
- Halitosis be unpleasant

General causes of cancer:

In general, it can be said that the causes of cancer vary from person to person and there are a varieties of reasons:

- Genetics: such as the presence of disease in family history.
- Aging.
- Environmental pollution and frequent exposure to harmful radiation.
- Drinking alcohol and smoking.
- Recurrent infection with a bacterial or viral infection.
- Exposure to carcinogenic chemicals such as asbestos.
- Diseases that reduce immunity.
- The nature of food and obesity.

Cancer treatment:

There are three main types of ways to treat cancer of all kinds:
o Surgical treatment.
o Chemical treatment.
o Radiotherapy.

Study field and results

Data on all 174 patients attending center during 2016 were analyzed as follows:

1/ Respondent's sex:

It is found that the majority of the respondents were females where they represented 58% while males represented only 42% (Table 1).

Table (1): Distribution of respondents by type

	Frequency	Percent
Male	73	42.0
Female	101	58.0
Total	174	100.0

Source: by researcher using SPSS

2 / Respondent's age:

According to Table (2), it is found that the majority of people with cancer (21.3%) fall in the age group of 45 -54, followed by the age group of 55-64 (19%), and then the age group of 65-74 (18.4%) and the lowest age group 95-100 (0.6%).

Table (2): Distribution of respondents by age

Age Group	Frequency	Percent
5-14	2	1.1
15-24	4	2.3
25-34	12	6.9
35-44	25	14.4
45-54	32	18.4
55-64	37	21.3
65-74	33	19.0
75-84	22	12.6
85-94	6	3.4
95-100	1	0.6
Total	174	100.0

Source: by researcher using SPSS

3 / Respondent's residence:

As shown in Table (3), it is found that the majority of the respondents are from Shendi (69.5%), followed by Aldamar (9.2%), Khartoum (8.0%), Atbara (6.3%), respectively.

Table (3): Distribution of respondents by residence

Area	Frequency	Percent
Shendi	121	69.5
Khartoum	14	8.0
Atbara	11	6.3
Aldamer	16	9.2
Berber	2	1.1
AbuHamad	2	1.1
Alobeid	2	1.1
Albawga	1	0.6
Alabedia	2	1.1
Sedoan	3	1.7
Total	174	100.0

Source: by researcher using SPSS

4 / Respondent's date of disease:

Table (4) shows the frequency of disease incidence according to month. It is found that June is the highest month (25.9%), followed by March, September, December, February, January, April, July, November, October and May, who represent 12.1, 10.9, 11.2, 9.8, 7.5, 6.9, 6.3, 3.4, 2.9 and 1.1%, respectively.

Table (4): Distribution of respondent's date of disease

Months	Frequency	Percent
January	13	7.5
February	17	9.8
March	21	12.1
April	12	6.9
May	2	1.1
June	45	25.9
July	11	6.3
August	13	7.5
September	19	10.9
October	5	2.9
November	6	3.4
December	10	11.2
Total	174	100.0

Source: by researcher using SPSS

5/ Respondent's type of cancer:

The most common type of cancer is breast cancer which represent (27%) of total cases, followed by ovarian cancer (12.6%), cervix uteri cancer (10.3%). However, the least one is laryngeal cancer (2.9%).

Table (5): Distribution of respondents by type of cancer

	Frequency	Percent
Breast	47.0	27.0
Ovarian	22	12.6
Stomach	12	6.9
Cervix Uteri	18	10.3
Colon	8	4.6
Prostates	11	6.3
Gland	6	3.5
Lung	8	4.6
Lips	7	4.0
Laryngeal	5	2.9
Skin	7	4.0
Bones	8	4.6
Rectum	6	3.5
Pancreatic	9	5.2
Total	174	100

Source: by researcher using SPSS

Chi Square tests for the independence of variables:

The Chi square test was conducted to determine the existence of a relationship between the dependent variable (cancer type) and each of the independent variables (date of disease, age, residence and sex) under the under the assumption of null hypothesis:

H_0: There is no significant relationship between the two variables against

H_1: There is a significant relationship between the two variables

1/ The Chi Square tests between type of cancer test and date of disease

From Table (6), the p-value of chi square test is less than 0.05 and that means the null hypothesis is rejected, while the alternative hypothesis is accepted, i.e. there is a significant relationship between cancer type and date of disease.

Table (6): The chi square test between type of cancer and date of disease

	Value	Df	Asymp. Sig (2 sided)
Person Chi squire	1013.929	864	0.000
Likelihood ratio	418.140	864	0.0001
Linear-by-linear Assciation	4.812	1	0.028
N of valid cases	157		

2/ The Chi Square test between type of cancer and age:

From Table (7) the p-value of chi square test is less than 0.05 which means that null hypothesis is rejected, while the alternative hypothesis is accepted, i.e. there is a significant relationship between cancer type and age.

Table (7): Chi Square test between type of cancer and age

	Value	Df	Asymp. Sig (2 sided)
Person Chi squire	.6783540	3240	.000
Likelihood Ratio	665.813	3240	.0001
Linear-by-Linear Association	.281	1	596.
N of Valid Cases	157		

3/ The Chi Square test between type of cancer and residence:

From Table (8) the p-value of chi square test is greater than 0.05 and that means the null hypothesis is accepted, while the alternative hypothesis is rejected, i.e. there is no significant relationship between cancer type and residence.

Table (8): Chi Square test between type of cancer and residence:

	Value	Df	Asymp. Sig (2 sided)
Person Chi squire	559.719	648	999.0
Likelihood Ratio	202.087	648	0.0001
Linear-by-Linear Assciation	0.688	1	0.407
N of Valid Cases	157		

4/ The Chi Square test between type of cancer and sex:

Results in Table 7 revealed that the p-value of chi square test is less than 0.05 and that means the null hypothesis is rejected, while the alternative hypothesis is accepted, i.e. there is a significant relationship between cancer type and sex.

Table (9): Chi square test between type of cancer and sex

	Value	Df	Asymp. Sig (2 sided)
Person Chi squire	100.388	72	015.
Likelihood Ratio	202.087	72	.000
Linear-by-Linear Association	.0065	1	.025
N of Valid Cases	157		

Discussion

After conducting the applied study, researcher attained the following results:

1- There is a significant relationship between sex and the incidence of cancer, ie, the type affects the incidence of this disease and this is noted in the frequency distributions, where the majority of infected females.
2- There is a significant correlation between the date of disease and the incidence of cancer, because most patients leave in the first half of the year.
3- There is a significant relationship between age and the incidence of cancer, i.e. that the age affects the incidence of this disease, where the injury is focused on ages older than 40 years.
4- There is no significant relationship between residence and the incidence of cancer because most of the respondents are residents of Shendi city and only a few come from neighboring areas.

Recommendations:

There are different ways to reduce the risk and incidence of cancer:

1. Encourage scientist to make more studies to discover all causes that lead to cancer.
2. Make a regularly permanent examination at least once a year.
3. Personal hygiene and disinfection of hands, the soap material is sterile to the body
4. Limit alcohol consumption Muslims generally should not drink alcohol and alcohol and can increase the risk of many types of cancer
5. Know your family history to get statistics about their history of patients and genetic diseases they carry.

Conclusion:

With the advancement of science and technological development in various sectors, the most important of which is the medical and pharmaceutical sectors, cancer is still a stigma of fear and a source of terror for many people, especially since the causes of this disease have not all been identified up to this day. People suffering from cancer are considered to be sentenced to death and lose hope in life and waiting for death at every moment. Therefore, this study applies statistical methods to find out the causes leading to this disease in the hope that the competent authorities will help in reducing the incidence of this incurable disease.

References

The Holy Quran

Al-Aqeel, Mohammed bin Abdulrahman (2013). All you want to know about cancer.

Al-Nouri, Ahmed Hamad (1999). Methods of demographic analysis, the first edition. University of Gazira, Sudan.

Buzgova, R. and Jarosova, D. (2014). Association between unmet needs and quality of life in hospitalised cancer patients no longer receiving anti-cancer treatment. Czech Republic, Ostrava.

Hassan, Manahil Mohamed Ahmed (2015). Cancer disease and its relationship to some psychological variables. Sudan.

Daoud, Juma Mohammed (2009). Introduction to Population Statistical Analysis. Ministry of Health (2016), River Nile State (Atbara).

Nasser, Ali Hussein (2013). Analysis of variables affecting the incidence of breast and lung. Sudan

National Census Bureau (2008). Central Statistical Organization of the Nile River State. Oncology and Cancer Research Center, Shendi.